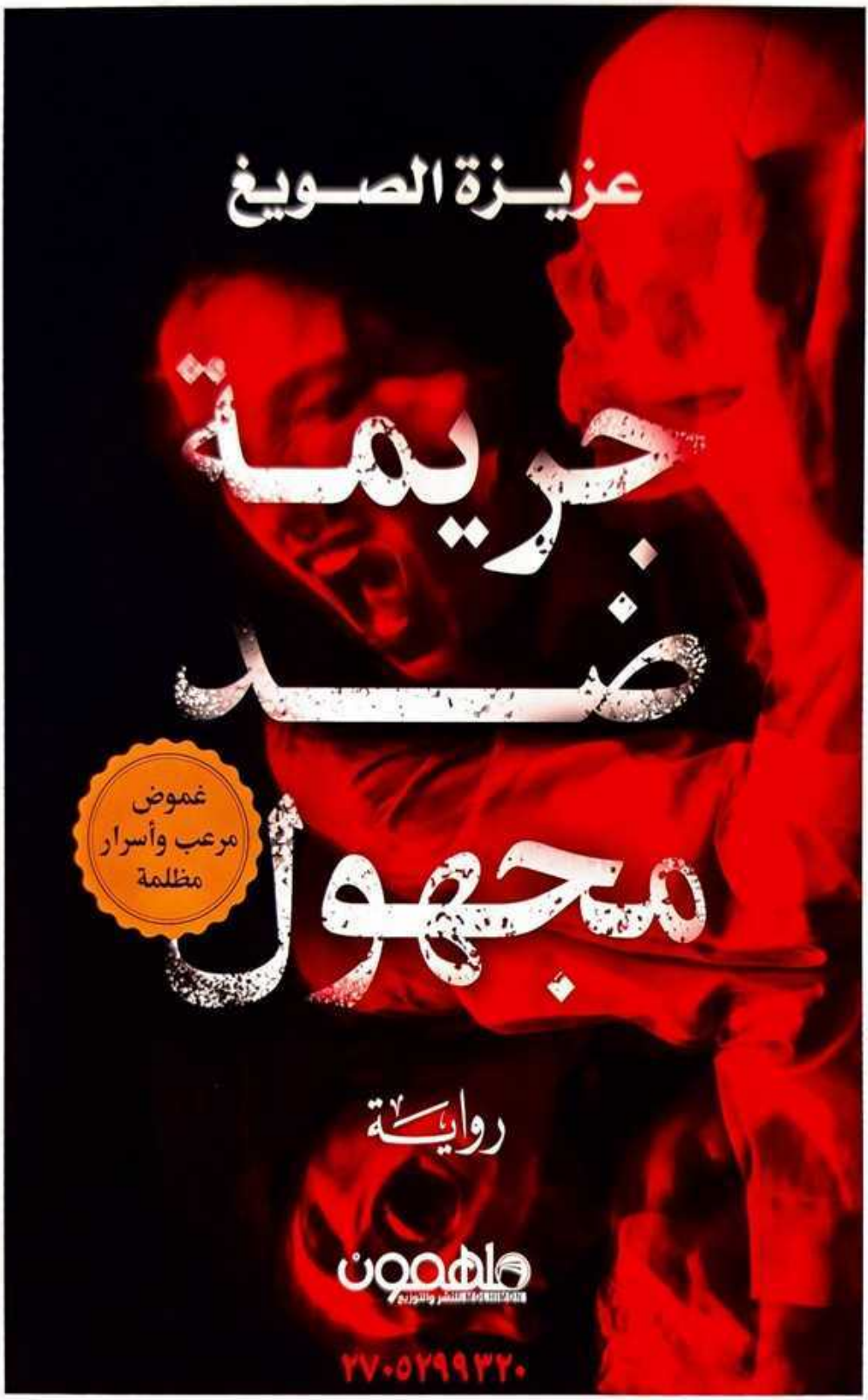
عزيزة الصويغ
جريمة ضد مجهول
غموض
مرعب وأسرار
مظلمة
رواية
ماهمون
٢٧٠٥٢٩٩٣٢٠

◀ الكتاب: جريمة ضد مجهول
◀ المؤلف: عزيــزة الصــويغ ؟
◀ التصنيف: رواية
◀ الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
◀ التصنيف العمري: E
◀ الطبعة الأولى: مارس 2025

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

◀ الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN:
◀ إذن طباعة: TMC-

جميع حقوق الطبع و إعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

◀ الطباعة:

darmolhimon
www.darmolhimon.com
+97165551184
SHJ, Industrial Area 18 –
SHD 13, Office :1

Processed using the free version of Watermarkly. The paid version does not add this mark.

إهداء

إلى والدي حسين الصويغ

ماذا أهديك وأنت من أهداني كل شيء جميل ورائع وحنون بحياتي.

أنت من مددت يدك لتأخذ بيدي وتعلمني أن الناس كلهم طيبون حتى يثبتوا لي غير ذلك.

أعطيتني قلمًا ودفترًا وقلت لي اكتب كل ما تشعرين، لأنني أرى فيك شيئًا مختلفًا.

شكرًا من كل قلبي لوجودك ... شكرًا لكل كلمة تشجيع قلتها لي

ورغم رحيلك فأنت لم ترحل يومًا عن قلبي وذكراك العطرة تملأ حياتي.

مقدمة

ماذا لو عشت تجربة غيرت منك الكثير؟

أصبحت شخصا آخر غير الذي كنت عليه، أبعد ما يكون عن ذاتك التي عهدتها

ونظرت حولك لتكتشف بأن تلك الوجوه التي اعتدت عليها باتت غريبة عنك كليا.

تصارع رغباتك لإنهاء علاقتك بها بأي طريقة كانت ومهما كان الثمن.

وبدأت تتساءل فزعا عن سر ذلك التحوّل الذي قلب حياتك رأسا على عقب.

من أنا ومن أكون؟ وما كل ذلك الظلام الذي يحيط بي إلى ما لا نهاية..

هذه قصتي وسأروي لكم كل شيء، كل ما رأيت وسمعت وعايشت.

لتبدأوا حينها بفتح صفحات أوراقكم لكي تدونوا أقوالي وبكل دقة.

رجاء أعيروني كامل اهتمامكم وتركيزكم.

فأنا قاتل ! نعم قاتل بلا جريمة.

مع كل المحبة والتقدير... عزيزة حسين الصويغ ....

استيقظ عادل مبكرًا، رغم أنه لم يستطع النوم إلا ساعات قليلة تقلب فيها على فراشه.

محاولًا إيقاف عقله عن التفكير والقلق.

فقد وصله بريد إلكتروني من مدير عام شركته التي انضم للعمل إليها منذ خمسة أعوام، كمحاسب مسؤول عن مراجعة الميزانية العامة الشركة.

كذلك تسليم رواتب الموظفين، والموافقة على الميزانية المحددة للمشاريع الخاصة بها، والتوقيع بأذون الصرف عليها.

هذا البريد الإلكتروني الذي تسبب في طيران النوم من عينيه، جعله يتساءل عن فحوى هذا الاجتماع الطارئ، ولمَ بهذا التوقيت بالذات!

الشركة منذ بداية أزمة الحمى الصفراء التي يتسبب بها فايروس شديد العدوى، بدأت تخسر العديد من عملائها، وتوقفت حركة المشاريع الخاصة بها، وتقلص العائد المادي حتى وصل إلى أدنى مستوى بشكل لم تعهده من قبل.

ومع فرض ساعات الحظر حرصًا على سلامة المواطنين والمقيمين أصبح الدوام ساعات قليلة بالنهار، ثم يعود جميع الموظفين إلى بيوتهم.

هل الاجتماع يتعلق بمناقشة سياسة جديدة للشركة تتناسب مع الأوضاع الحالية؟!

كل تلك الأسئلة صعبت النوم عليه، وها هو يستعد للذهاب للاجتماع وحرمه المصونة نائمة، وصوت شخيرها كمعزوفة نشاز تضج بها أرجاء غرفة نومهما، لم تهتم حتى بسؤاله عما يشغل باله.

ولمَ العجب فذاك طبعها الذي جُبلت عليه منذ زواجهما.

تنهد بحسرة وهو يتأملها، ثم طأطأ رأسه وتوجه إلى الباب وفتحه بكل هدوء.

خرج مسرعًا من الغرفة وهو ينظر إلى ساعته، ما زال الوقت مبكرًا على موعد الاجتماع.

توجه إلى غرفة أبنائه موفق وميسر ومنير، فوجدهم غارقين بالنوم.

تبسم رغمًا عنه لرؤية أطفاله يستمتعون بنوم عميق، لا يحملون همًا ولا يدركون كل ما يجري حولهم من أحداث شغلت العالم.

فلم يعد هناك موضوع يُثار الحديث عنه سوى ذلك المرض الوبائي الذي طال كل بلدان المعمورة فلم يفرق بين بلد وآخر.

رغم أن الفسبب له بعد الله حشرة البعوضة التي تنقل المرض من الشخص المريض إلى السليم عن طريق لسعة فسببة حمى نزفية شديدة الخطورة.

أعلنت حالة الطوارئ الصحية وامتلأت المستشفيات بالمصابين.

وأصاب الأطباء الحيرة في أمرهم، فهذه المرة الأولى التي يتعاملون فيها مع فيروس بهذه الشراسة، سريع العدوى والانتشار بالانتقال من شخص إلى آخر ومنها إلى مئات غيرهم!

البيوت أغلقت أبوابها بوجه الزائرين، وتوقفت الاجتماعات العائلية خوفًا على كبار السن.

شُلت عجلة الحياة تمامًا، وفُرض الحظر في غالب مدن العالم.

ولم يعد أحد يجرؤ على الخروج من بيته إلا للضرورة.

أغلقت الجامعات والمدارس، وأصبح التعليم عن بعد أون لاين، ومن خلال شاشات الكمبيوتر.

فقد الأطفال بهجة اللعب ومرافقة الأصدقاء بالمدرسة والمشاغبة والضحكات البريئة.

كل عالمهم تحدد بين أربعة جدران، لا يعملون ما السبب وإن سألوا لا يجدون إجابة مقنعة.

(سبحان الله) رددها عادل وهو يتناول كوبًا من القهوة وينفخ في الهواء دخان سيجارته.

تناول حقيبته الخاصة بالعمل ومفاتيح سيارته ونظر إلى ساعته، ما زال هناك بعض الوقت، فهل يمر على والده ووالدته ليلقي عليهما التحية .

الوقت ما زال مبكرًا، ووالده يصلي الفجر ثم يحضر الإفطار له ولوالدته يتناولانه سويًا، ثم يعود ليأخذ قيلولة الضحى حتى صلاة الظهر.

فوالده تقاعد منذ مدة، قام بعدها بما جمعه من مال ببناء بناية من ثلاثة طوابق، استقل هو ووالده عادل بالدور الثالث ولهم مصعدهم الخاص بهم.

كما جعل من سطح الطابق الخاص به حديقة جميلة، قام بزراعة النعناع والريحان والورود ليستمتع برائحتها وهو يحتسي كوبًا من الشاي ويمتع عينيه بجمال المنظر من حوله.

كما وضع به جميع الألعاب الخاصة بالأطفال، حتى يجتمع أحفاده عنده غالب الوقت فسعادته برؤيتهم حوله.

أما الدور الثاني فهناك شقتان، إحداهما لعادل وزوجته سميرة، والأخرى لأخيه الدكتور عماد وزوجته خلود وبنتيهما سلوى ومنى، وبالدور الأول أخوه فؤاد وزوجته ليلى.

ثم أخته أميرة وزوجها فارس وابنتهما الصغيرة لارا.

فقد أصر والده على أن تبقى ابنته الوحيدة معهم بالسكن، لأنه لا يستطيع الابتعاد عنها حتى بعد زواجها، ووافق زوجها فقد كان ابن عمتها وليس غريبًا عنهم.

وبالدور الأرضي هناك مدخل المبنى وشقتان، كل منهما ذات غرفة واحدة بملحقاتها لكل من الحارس عبده والسائق الخاص بوالده صبري.

قرر عادل الذهاب إلى عمله مفضلًا ألا يمر على والديه، خاصة أن والدته تستطيع فهمه من نظرة واحدة، وتعرف ما يدور بداخله من دون حتى أن يتكلم.

قلب الأم سبحان الله! ولهذا لا يريدها أن تراه اليوم بالذات، خاصة وذلك القلق يسيطر عليه، ويتحكم في حالته النفسية، ويبدو مرسومًا على قسمات وجهه.

توجه مستقلًا سيارته إلى مكان عمله الذي كان يبعد عن سكنه أكثر من نصف ساعة.

طيلة الطريق كان يشعر بالضيق يعتصره عصرًا، لم يعرف ما السبب، ولكنه حاول إلهاء نفسه بالاستماع إلى الإذاعة، ظل يقلب المحطات لربما يأتي من أحدها أخبار سارة تساعد في التغيير من نفسيته قليلًا.

(مرحبًا بكم في نشرة الساعة السابعة صباحًا...

أعلنت منظمة الصحة العالمية بأن جائحة الحمى الصفراء ما زالت في أوج قوتها رغم أن الناقل لها هو البعوض إلا أن ازدياد عدد الحالات التي أصيبت بها جعلتهم في حيرة وقلق عن كيفية انتشاره بتلك الحدة والشراسة.

وقد تجاوزت أعداد الإصابات اليومية حول العالم خمسة ملايين حالة، ومئات الوفيات نتيجة الإصابة بهذا الفيروس.

كما أوصت بفرض مزيد من الإجراءات الحازمة وإيقاف حركة الطيران إلى البلدان التي يرتفع بها معدل

الإصابات..

مع الحرص على رش المبيدات الحشرية المعدة لمكافحة أماكن تواجد البعوض، محذرة من أن فايروس هذه الحمى يبقى بالأماكن التي تكثر بها المستنقعات والبحيرات الراكدة.

وكذلك العمل على نظافة البيئة والمنازل، وخلوها من أي تجمعات مائية والإبلاغ عن الأماكن التي يتكاثر بها البعوض؛ كونها مصدرًا من المصادر الناقلة للعدوى.

وبيده أغلق المذياع بقوة وهو يقول... حسبنا الله ونعم الوكيل، من أين لنا هذا المرض ولم كل تلك الإجراءات؟!

اللهم اكفنا شره، واحفظ بلادنا وبلاد المسلمين والعالم أجمعين يارب.

أستغفر الله.. أخبار تسد النفس على الصباح! وخرج مسرعًا إلى الشارع العام حتى سمع صوت عجلات سيارته وهي تصدر أزيزًا قويًا عند احتكاكها بالأسفلت.

وصل إلى مقر عمله قبل الوقت، أوقف سيارته بعيدًا عن المبنى، وترجل منها سيرًا على الأقدام باقي المسافة.

في طريقه قابل موظفين معه بالشركة، تبادل معهم السلام والتحية من بعيد، وسادهم الصمت، فكل منهم كان يعيش نفس الشعور الموجود لدى الآخر، ويتساءل ما الذي سيتم طرحه في هذا الاجتماع.

دخل عادل إلى غرفة الاجتماع والتي تقع بالطابق الخامس، حيث مكتب مدير عام الشركة ونائبه ومساعده الخاص.

أما غرفة الاجتماع فهي تقابلك حين دخولك، حيث تجد مدخلًا زجاجيًا كبيرًا يؤدي إلى قاعة متسعة، تتوسطها طاولة مستديرة تتسع لعدد يبلغ حوالي الخمسين شخصًا.

جلس عادل بأول مقعد بطرف الطاولة ونظر أمامه، فوجد مدير عام الشركة جالسًا وعلى يمينه مدير شؤون الموظفين وعلى يساره نائبه.

ساد الهدوء والصمت المكان ولم يتحدث المدير منتظرًا اكتمال حضور الجميع حتى يبدأ.

وحين وجد أن الغالبية متواجدون، بدأ بالحديث متنحنحًا قليلًا..

شاكرًا الموظفين على حضورهم وعلى جهودهم التي بذلوها في مواجهة الآثار المترتبة عن انتشار الحمى الصفراء والتي أدت إلى وقف سير الحياة بكافة أوجهها وطالت العديد والعديد من الأعمال والشركات.

توقف قليلًا ليلتقط أنفاسه وليكمل حديثه قائلًا وهو ينظر في وجوه كل واحد من موظفيه بحسرة وأسى... كنت أود أن أجمعكم اليوم لأبلغكم أخبارًا تسركم قبل أن تسرني، ولكن للأسف، الشركة تخسر كل يوم نتيجة الإغلاق، وخاصة أننا نعتمد على الاستيراد من الخارج..

لم نعد نستطيع سداد ما علينا من التزامات تجاه عملائنا والمتعاملين معنا..

عام كامل حاولنا به جاهدين إبقاء ما يمكن والاكتفاء بسداد الرواتب للموظفين، حتى لو تكبدنا الكثير في سبيل تحقيق ذلك..

ولكن حتى تطلعنا ذاك لم يُجدِ، بأن نبقي على موظفينا بأمان حتى لو اضطرنا الأمر إلى الاستغناء عن أشياء كثيرة مقابل الاستمرار بالعمل.

توقف وهو ينظر بأسى ونظرات الحزن تعتلي ملامح وتعابير وجهه، ثم أكمل موجهًا حديثه لهم جميعًا:

يؤسفني أن أبلغكم بأن الشركة أصبحت على وشك إعلان إفلاسها، ولا بد من وقف العمل الفترة القادمة

حتى تمر بنا تلك الأزمة على خير وسلام..

ولهذا أعلن اليوم، وبعد دراسة الوضع العام للشركة ومشاورة شركائنا بالعمل..

توصلنا إلى قرار لم نكن نود أبدًا تنفيذه تحت أي ظرف، ولكنه قرار لا بد منه ولا مفر عنه.

ألا وهو...

الاستغناء عن خدمات أغلب الموظفين مع إعطائهم كافة حقوقهم المستحقة لهم.

أعتذر لكم عن ذلك، ولكن ما باليد حيلة، والله سبحانه وتعالى يرزقنا ويرزقكم ويعوض علينا وعليكم ما خسرناه، فهو ولينا وحسبنا والحمدلله على كل حال، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قام من مكانه وفتح له نائبه الباب وانطلق خارجًا لا يلوي على شيء مسرعًا الخُطا مكتفيًا بما قاله لهم، وهروبًا من أي محادثة أو سماع أي استفسار أو أسئلة من أي كان فما كان يعانيه يكفيه.

نظر عادل حوله مذهولًا مما سمعه، فقد توقع كل شيء إلا ما حدث أمامه، شيء لا معقول وغير مقبول نهائيًا..

فهو كمحاسب للشركة يعلم كل العلم بأنها تمر بأزمة مالية، ولكن ليس لدرجة تصل إلى تسريح الموظفين، نعم الوضع لا يصل لذلك.

تصفح وجوه زملائه من حوله، وجدهم ينظرون إلى بعضهم البعض وقد عقدت المفاجأة ألسنتهم، لا يعلمون ماذا هم فاعلون!

أفاق من ذهوله على صوت مدير الموارد البشرية علاء ينادي عليه ويطلب منه مرافقته إلى مكتبه.

مشى بجانبه بخطوات بطيئة يود لو وجد إجابة لكل الأسئلة التي تكاد تمزقه، وحينما دخل إلى المكتب لم يكد علاء يجلس أمام مكتبه حتى انفجر عادل قائلًا له: ما الذي يحدث هنا يا علاء؟! معقول ما سمعته!

أكاد لا أصدق أذني أبدًا، فأنا محاسب الشركة، وأعلم كل صغيرة وكبيرة عنها، صحيح أن العائد أصبح محدودًا لكن ما زال رأس مال الشركة كما هو لم يتأثر.

تستطيع الشركة الاستمرار ودفع رواتب موظفيها دون الاستغناء عن خدماتهم بتلك الطريقة.

والمؤسف والمبكي بأنني وُضِعت على رأس القائمة.. علاء ما هذا الهراء؟!

أجابه علاء: أهدأ يا عادل واجلس حتى أستطيع التفاهم معك رجاء.

جلس عادل وهو يشعر بالغضب وغليان في رأسه قائلًا لعلاء: تفضل هاتِ ما عندك.

نعم يا عادل، هناك رأس المال فقط، والخوف كل الخوف من فقدانه وحينها ستحل الكارثة ويخرج الجميع بخسارة لا يمكن السيطرة عليها، ومن ضمنها إعطاء الموظفين كافة حقوقهم، ومكافأة نهاية الخدمة، وذلك في حال انتظرنا أكثر من ذلك، وهذا شيء لا نقبله ولن نرضى حدوثه نهائيًا.

قال عادل بحدة: ومن يرضى بأن أكون من ضمن من تم الاستغناء عنهم؟!

هل هذا مقبول وأنا كنت لا أغادر الشركة إلا بعد انصراف الجميع بساعات وأول من يحضر للعمل؟!

تحملت مسؤوليات خارج مهام وظيفتي وسفريات وتعبًا وابتعادًا عن أسرتي بالأيام.

كيف يحدث هذا يا علاء؟! هكذا ببساطة يلقى بي وزملائي على قارعة الطريق للمجهول؟!

مئة وخمسون موظفًا يتم الاستغناء عن مئة موظف وأنا منهم.. سبحان الله!

أجابه علاء بصوت يغلبه التأثر: تم الاستغناء عن الموظفين الأعلى راتبًا مع الأسف..

مع بقاء خمسين موظفًا، سيعملون بدءًا من يوم غد بنصف الراتب أون لاين فقط ، ولن يكون العمل حضوريًا إلا للضرورة.

المهم يا عادل أريد منك أن تراجع ملفات الموظفين الذين تم الاستغناء عنهم، ثم وضع تقرير بكل مستحقاتهم المتبقية لدى الشركة، كل منهم حسب عدد سنوات عمله وخبرته، أكون شاكرًا لك.

تمزح! قل لي بأنك تمزح معي يا علاء! مسحوب علي بالشركة سبحان الله وتطلب مني تقريرًا؟! بأي وجه حق؟! هل أنا موظف لديكم من واجباته هذا العمل؟! إما أنك تفرض عليّ ذلك مقابل حقوقي لديكم!

أجابه علاء وهو يحاول أن يهدئ من انفعاله: تمالك نفسك يا عادل، لن يفيدك الغضب بهذه الطريقة.

اجلس وحاول أن تتنفس بعمق، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

أعوذ بالله وأستغفر الله وأتوب إليه..

ما تطلبه مني يفوق قدرتي على التحمل، تقطعون رزقي ورزق أولادي، ثم بكل بساطة تطلب مني هذا العمل!

أقسم بالله إنها مهزلة حقًا.

أجابه علاء وهو يحاول تهدئته بكل استطاعته: الأرزاق يا أخي بيد الله سبحانه وتعالى وليست بيد البشر.

إن استغنوا عنك هنا، تأكد بأن الله لن يضيعك ولن يتركك، فقط ضع ثقتك به وأحسن الظن والتوكل عليه ولا تيأس من رحمته أبدًا.

أزمة وستمر بإذن الله وسيعوضك خيرًا منها، فلا تعترض على حكمته وقضائه.

حينها هدأ عادل وقال: ونِعم بالله! حقًا ما لنا سواه، إن أُغلقت الأبواب، فباب رحمته وسعت كل شيء.

أستغفر الله، أرسل لي الملفات الخاصة بالموظفين وسأعمل عليها في الحال.

هنا قام علاء واحتضن عادلًا وصافحه قائلًا: كفو يا عادل والنعم بك.

جلس عادل أمام شاشة الكمبيوتر الخاص بمكتبه وبدأ يراجع الملفات بدقة، واضعًا أمام عينيه مصلحة زملائه قبل نفسه، فيكفيهم ما مروا به اليوم، ولا بد أن تصرف لكل واحد منهم حقوقه كاملة دون أي نقصان.

لم يشعر بالوقت ولم ينهض من مكانه إلا لأداء صلاة الظهر، وحينما انتهى كانت الساعة تقترب من الثانية والنصف ولا بد له من الانصراف فورًا قبل حلول وقت الحظر.

أغلق الكمبيوتر ثم تناول حقيبته ووضع بها كافة أغراضه الشخصية الموجودة في درج مكتبه وصورة لأبنائه كان يضعها أمامه دائمًا.

نظر حوله متأملًا المكان، يكاد قلبه ينخلع من مكانه لفراقه، الذكريات في كل جزء منه، ضحكات أصدقائه وشكوى بعضهم لتأخر استلام رواتبهم...

تنهد بأسى ثم غادر بعد أن أغلق الباب خلفه، كان السكون يعم المكان فقد انصرف الجميع ولم يبقَ أحد سواه.

خرج مسرعًا يسابق خطاه ليلحق الوصول إلى بيته.

وبينما هو يقود سيارته مسرعًا قبل وقت الحظر توقف عند إشارة المرور الحمراء، تلفت من حوله، صف طويل من السيارات، نظر إلى ساعة يده، كانت تشير إلى ما قبل الثالثة عصرًا بخمس دقائق، بينما تبقى عليه

للوصول لبيته نحو عشر دقائق.

نظر إلى السماء وهو يقول: يا رب.

وحينما صارت الإشارة خضراء تحرك بصعوبة حتى تجاوزها قبل أن تغلق مرة أخرى.

ليتفاجأ بشرطي المرور يوقفه ويسجل رقم سيارته ويبلغه بأنه سيستلم رسالة تفيد مخالفته وقت الحظر.

حاول الاعتراض قائلًا: ولكن باقي خمس دقائق على وقت الحظر.

نظر إليه الشرطي بحدة وقال: الساعة الآن تمام الثالثة، هيا تفضل وأسرع إلى بيتك قبل أن أعطيك مخالفة أخرى.

أسرع من أمامه وهو يردد: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ارتفع رنين هاتفه المحمول ونظر من المتصل الآن فإذا هي زوجته.

أجاب: نعم.. خيرًا يا سميرة.

حينها علا صوتها: خيرًا؟! ومن أين يأتي الخير وحضرتك متأخر ولا تهتم وتسأل ما الذي نحتاجه هنا؟!

على الأقل اتصل، استفسر هل ينقصنا شيء، إلى متى تعاملني بهذا البرود يا عادل؟!

أجابها وهو يحاول كتم غيظه: سميرة.. هذا ليس الوقت المناسب لافتعال المشاكل، عن إذنك أقود السيارة ولا أستطيع التحدث الآن. وأغلق الاتصال على صوت صراخها.

أستغفر الله، الصبر يا رب ألهمني الصبر يا صاحب الأمر.

وصل إلى البيت منهكًا، كل شيء به يشعر بالتعب والإجهاد.

رأى سائق والده صبري، فأعطاه مفتاح السيارة ليقوم بركنها بالموقف الخاص بها.

وأعطى الحارس عبده الحقيبة وصندوقًا صغيرًا به بعض الأغراض وطلب منه إعطاءه لزوجته.

بينما أخذ المصعد الخاص والمؤدي لبيت والده فقد كان بحاجة إلى بعض الهدوء والسكينة التي غالبًا لن يجدها في بيته.

دخل إلى منزل والده ونادى على أمه: يا أم عادل.. أين أنت؟

جاءت على الفور حينما سمعت صوته ترحب به وتقول: هلا بالغالي حبيب قلبي.

قبل رأسها ويديها وتأملت ملامح وجهه، ثم قالت بحنان: ما بك بني؟ لماذا وجهك هكذا؟ هل بك شيء؟ هل تشكو من شيء.

قال لها وهو يحاول التحكم بنبرات صوته: لا يا أمي، الحمد لله، لا أشكو من شيء حبيبتي، فقط أردت السلام عليك وعلى والدي قبل الدخول إلى بيتي.

أمسكت والدته بيده ونظرت إلى عينيه ولم تتحدث، ولكنها تأملته صامتة، فهي تعلم كل العلم بأن هناك شيئًا ما يضايقه ولكنه لا يود الإفصاح عنه.

حينها سألها حتى يهرب من نظراتها: أين والدي؟

أجابته: هو بغرفته يتوضأ استعدادًا لأداء الصلاة، فكما تعلم بأنه لم يعد يذهب للمسجد بعد أن توقفت الصلوات بالمساجد؛ حرصًا على عدم انتقال هذه الحمى ما بين المصلين.. حسبنا الله ونعم الوكيل.

أجابها قائلًا: ونعم بالله!

عن أذنك يا أمي سأذهب للسلام عليه.

وقف عند باب غرفة والده، طرق الباب وانتظر حتى سمع صوت والده يقول: ادخل.

دخل الغرفة متوجهًا ناحية والده الذي كان يجلس بمقعد كبير أمام نافذة الغرفة، يقرأ صفحات من القرآن الكريم، قبل رأسه ثم يده وجلس بالمقعد المقابل له صامتًا لم يستطع أن ينطق ولو بكلمة واحدة.

تأمله والده مطولًا ثم قال له متسائلًا: ما بك يا بني؟ لم تجلس هكذا صامتًا وكأن هموم الدنيا فوق كتفيك؟ هل حدث بينك وبين زوجتك مشكلة أو سوء تفاهم لا قدر الله؟

أنت تعلم يا بني بأن النساء عاطفيات، قلوبهن رقيقة، ولكن ساعة الغضب يقلن كلامًا لا يعنين به شيئًا، فقط لحظة غضب من ضغوط الأولاد والمسؤولية، ثم بعدها يتصرفن وكأن شيئًا لم يكن وتعود الأمور كما كانت.

تنهد عادل ونظر إلى وجه والده وقد تبللت لحيته البيضاء بما تبقى من ماء الوضوء.

لا يا والدي، المشكلة ليست بزوجتي، ولكنها ستؤثر عليها وعلى أبنائي للأسف.

هنا وقف والده وشعر بالقلق... ماذا هناك يا بني؟! ما هي تلك المشكلة التي ستؤثر عليكم؟!

قال وهو يتجنب النظر في عينيه: لقد تم تسريحي اليوم من العمل والاستغناء عن خدماتي أنا وموظفين آخرين، وقيل لنا شكرًا ما قصرتم، لم نعد بحاجة لكم.

وما السبب يا بني؟ ألم يبلغوكم به؟ ما عذرهم لهذا التصرف؟

كما تقول مئة موظف تم تسريحهم عدد لا يستهان به.. معقول!

لا بد من وجود أمر ما أجبرهم على فعل ذلك، مستحيل أن يقوموا بإلقاء الموظفين إلى قارعة الطريق دون سبب.

أجابه عادل: الشركة تُعتبر ناشئة، لها بالسوق ما يقرب من عشرة أعوام فقط، وكانت قبل أزمة هذا الوباء قد بدأت تجني ثمار أرباحها وبشكل جيد، ولكن انتشار المرض بشكل واسع تسبب في تعطيل حركة الاستيراد والتصدير؛ مما كان له الأثر المباشر عليها؛ فتوقف عنها العرض والطلب، وأصبح الوضع المالي مهتزًا بعض الشيء فهناك التزامات للمتعاملين ولا بد من الوفاء بها مهما كانت الظروف.

ولأن الشركة لا تود خسارة رأس مالها، حينها لن تستطيع دفع رواتب الموظفين لديها؛ لهذا كان هذا القرار بتسريح الموظفين أصحاب الرواتب العالية، والاكتفاء بالموظفين ذوي الرواتب المنخفضة وهم الأقلية، وسيتم مع ذلك إعطاؤهم نصف راتب، لأن دوامهم سيكون عبر النت فقط حتى إشعار آخر.

لا حول ولا قوة إلا بالله، كان الله في عونك يا بني، لا تحمل همًا ولا تبتئس، أزمة وتمر بإذن الله، عليك التمسك بإيمانك وثقتك بربك..

وسيفرجها الله قريبًا وتجد عملًا آخر أفضل بإذن الله تعالى.

ونعم بالله يا والدي! فوضت أمري كله له، هو حسبي ونعم الوكيل!

لو كان الموضوع يتعلق بي فقط لن أحمل همًا، ولكن برقبتي أطفال مسؤولون مني وأمهم، كيف سأتدبر أمورهم؟!

قال له والده: سيدبّر أمرهم من خلقهم وستفرج قريبًا..

لا تيأس من رحمة الله، ثم أين ذهبت أنا يا بني؟ سأكون معك وبجانبك ولن ينقصكم شيء، حتى يمن الله عليك بعمل آخر.

لا حرمني الله منك يا والدي، أطال الله بعمرك وجعلك ذخرًا لنا جميعًا، لكني أعلم جيدًا أن راتبك التقاعدي يكاد يغطي مصاريفك ووالدتي، فلا أحب أن أكون عبئًا ثقيلًا عليك وأكلفك فوق قدرتك.

أجابه والده: لا تقلق بني، سيبارك الله به ويكفينا جميعًا.

قال عادل: ونعم بالله! لا حرمني الله منك وأطال بعمرك.

أستأذنك يا والدي، سأذهب إلى البيت، أريد أن أنام قليلًا، أشعر بصداع ولا بد أن أرتاح.

قبل يده ورأسه وانصرف متوجهًا لشقته بالطابق الثاني.

وضع المفتاح في الباب ثم تراجع للخلف، فقد سمع صوتًا عاليًا يشبه الصراخ، وحينما أصاغ السمع عرف صاحبة الصوت، كانت زوجته سميرة كعادتها، ترفع صوتها على العاملة المنزلية حميدة، لم يفهم ماذا تقول ولكنه فكر بالعودة إلى شقة والده فحالته النفسية الآن لا تسمح له بمواجهة مثل هذا الهراء.

انتظر قليلًا حتى خُيل إليه بأن الأمور قد هدأت قليلًا، عاد ليفتح باب شقته مستعيذًا بالله من الشيطان الرجيم ودخل بكل هدوء.

توجه إلى غرفة الجلوس ليجد أبناءه يلعبون والحماس يغمرهم، وحين رأوا والدهم يقف خلفهم أقبلوا عليه يحتضنونه.

أمسك موفق أكبرهم عمرًا والبالغ اثني عشر عامًا بيده..

هيا يا أبي لتلعب معي ولنفُز على ميسر ومنير.

تبسم عادل رغم شعوره بالتعب والإجهاد وقال: سنفوز عليهم أكيد، ولكن فقط أمهلني دقائق لأبدل ملابسي وأرتاح قليلًا.

أجابه موفق: حسنًا ولكن لا تنس وعدك لي يا أبي.

قال له: لن أنسى أبدًا. ثم سأله هامسًا: أين هي أمك؟

هز موفق رأسه وهو يهمس بأذن أبيه متلفتًا حوله بخوف: أمي بالمطبخ تتشاجر مع حميدة المسكينة، رغم أنها لم تفعل أي شيء، لكنها منذ الصباح وهي تصيح عليها غاضبة، وتقول لها يا مهملة يا سلحفاة، ولا أعلم ما سبب غضبها يا أبي.

حسنًا يا بني، لا تهتم، أكمل لعبك وسأذهب لغرفتي وبعدها لكل حادث حديث.. قالها بسره.

دخل غرفته وبدل ملابسه ثم أخذ حمامًا دافئًا ليساعده على الاسترخاء.

بعدها ذهب لفراشه والتحف بالغطاء وأغلق النور، ثم أغمض عينيه واستغرق بنوم عميق.

لم تمر سوى نصف ساعة فقط ليجد باب الغرفة يُفتح بقوة والإضاءة تعم أرجاءها وصوتًا يقول بنبرة مرتفعة: ما شاء الله تبارك الله، كأن لم يكن هناك أناس بالبيت، ولا حرمة تشقى ومتعبة من صباح الله خير مع أطفال يتشاجرون طيلة الوقت! ذلك غير اللعب والتكسير..

وبيت يحتاج تنظيفًا وترتيبًا ورعاية، وعاملة أبرد ما يكون، تتحرك مثل السلحفاة، وعليّ أنا عمل كل شيء بنفسي!!

جلس في فراشه منزعجًا من صوتها المرتفع وحديثها الذي لا طائل ولا فائدة من ورائه سوى إزعاجه وحرمانه من ساعة نوم فقط.

أجابها محاولًا أن يتحكم في نبرات صوته والبقاء هادئًا قدر استطاعته فيكفي صياحها وصوتها العالي: ماذا

بك؟ ألا ترين أنني متعب ومجهد وأحتاج قليلًا من الراحة، لتوقظيني بلا سبب مقنع من نومي؟ ألا تكفين عن حركاتك وتصرفاتك تلك يا سميرة؟!

صاحت: نعم.. ماذا تقول يا عادل؟! أنا أزعجك؟!

كلامي صار لا يعجبك!

طبعًا الآن أصبحت لا أنفع ولا أعجب! هكذا أنت دومًا، لا جديد، أنا لا شيء عندك، تحاول دومًا التقليل من شأني كأن لم أكن زوجتك وأم أولادك.

سميرة.. ألا تستطيعين التحكم بلسانك يومًا واحدًا، ومحاولة تفهُّم كون زوجك متعبًا أو محبطًا أو مقهورًا؟ لو كنتِ حقًا تقدرين وتفهمين كونك زوجتي، وتعلمين معنى أن تكوني زوجة تشعر بأن زوجها يمر بوقت صعب، هذه هي الزوجة التي أحترمها وأقدرها وأسأل عنها.

حينما سمعت ما يقول انفجرت من الغيظ وعلا صوتها أكثر.

ما الذي تقوله يا عادل؟! أنا أفتعل المشاكل ولست محترمة؟! عيب والله عليك!

أنا من ضحت من أجلك، من فضلتك على جميع من تقدموا لي واخترتك أنت رغم كل شيء، والنتيجة لست زوجة بعينيك! ما بك أنت؟! كأنك تعيش بعالم آخر، لا تقدّر ولا تفهم تعبي من أجلك وأبنائك.

(ها هي معزوفة كل يوم والنشيد المفضل لك!).

قالها ثم قام من فراشه غاضبًا حتى أصبح مواجهًا لها...

اليوم بالذات لا أود أن أسمع منك شيئًا، ولا ترفعي صوتك نهائيًا عليّ.. هل تسمعيني!

كانت نظراته لها ثاقبة وتكاد عيناه تخرج من مكانها غيظًا، ووجهه قد تلون واحتقن من الغضب واهتز جسده؛ وكأنه فقد السيطرة عليه وارتجفت يداه بقوة.

فتراجعت للخلف خوفًا منه متعجبة من ردة فعله! فطبيعته البرود وعدم الرد وتجاهل أي شيء تقوله.

خرج من الغرفة بعد أن أخذ وسادته وغطاءه وتوجه إلى غرفة أبنائه، ألقى بنفسه على سرير ابنه وهو يحدث نفسه: لم تسألني هل

تناولت طعامًا؟ هل أحضر لك شيئًا تأكله؟ لا، بل جعلتني آكل نفسي كمدًا!

كم أود لو أستطيع سحب لسانها وقطعه وإلقاءه بالشارع حتى تصمت فلا تستطيع الكلام، طيبًا كان أم غيره!!

لماذا تراوده تلك الرغبة القوية بالخلاص منها ومن الحياة معها؟!!

ليعيش في صراع مع نفسه التقية التي تُوصيه بالصبر والتماسك من أجل أبنائه.

(سامحك الله يا أمي على اختيارك لها ومدحها لي!) قالها في نفسه وهو يلكم وسادته بغيظ.

فتاة جميلة، وجه كالقمر، وشعر حريري طويل، وعينان سبحان الله عينا غزال!

تفضلي.. هذه الجميلة شكلًا فقط، لكن داخلها لا يقرب للجمال بشيء، ليتك أدركت حينها بأن المظاهر خداعة!

ولمَ تلقي اللوم على أمك فقط؟! أنت أيضًا انبهرت بجمالها وسحر عينيها وابتسامتها التي شدتك لها.

كانت فائقة الجمال، سحرته منذ أن رآها أول مرة.

خدعك جمالها، فقدت عقلك ورشدك، وانجذبت إليها، ووافقت عليها فورًا..

لم تُعط نفسك فرصة للجلوس معها والتقرب منها ومعرفة أفكارها..

قال لك والدها عقد القران والزواج بعد شهر، فهو لا يفضل الخطبة وإطالة الوقت بلا فائدة.

طبعًا يعلم جيدًا طول لسان ابنته ودلالها وغرورها بجمالها وشكلها.

وافقهم ولم يعارض.

كان يتشوق إلى اليوم الذي يجمعه بها تحت سقف بيت واحد، خضع لكل طالباتهم من مهر وشبكة وجهاز، لم يرفض لهم طلبًا..

والآن يدفع ضريبة تسرعه، والسير خلف وهم البيت الهانئ وعش الزوجية السعيد، والوجه الجميل الذي سيتمتع برؤيته كل صباح!

الحمد لله على كل حال.. قالها لنفسه وأغمض عينيه فقد بدأ يشعر بالنوم العميق يثقل جفنيه فاستسلم له.

استيقظ ونظر من حوله، الهدوء يعم المكان، تثاءب ونظر إلى ساعة يده ليجد بأنها تجاوزت الثامنة مساء.

خرج من الغرفة وتجول بأرجاء البيت، هدوء على غير العادة ويبدو بأن لا أحد موجود.

بحث عن أبنائه فلم يجدهم، لا هم ولا أمهم، نادى بأسمائهم، لم يجبه أحد..

جلس على مقعده بغرفة الجلوس وأمسك بالريموت الخاص بالتلفزيون وضغط على زر التشغيل.

تساءل: أين ذهبت زوجته؟! ولمَ لم تبلغه أو حتى تترك له رسالة عن مكانها؟!

سبحان الله! طبيعتها عنيدة، ردة فعلها دومًا غير متوقعة، لا تعترف إلا برأيها وقراراتها فقط، كلامه ورأيه ليسن لهما أي اعتبار في حسابها.

أمسك بهاتفه المحمول وقام بالاتصال على رقمها ولم تجب، أعاد الاتصال مرة ثانية ونفس الشيء.

اتصل برقم والدته ليسأل عن أبنائه، فأمهم عادة حينما تخرج لا تصطحبهم معها، بل تدعهم لدى منزل جدهم ليأخذوا راحتهم باللعب معه.

أجابت والدته على الاتصال وسألته كيف حاله الآن، وهل أخذ كفايته من النوم.

الحمد لله يا أمي، نمت ولم أشعر بنفسي من شدة التعب والإرهاق، أمي.. كيف الأولاد؟ معكم؟ أرجو أن لا يكونوا قد تسببوا بإزعاجك أنت أو والدي.

ضحكت والدته قائلة له: يزعجونا؟! لا تقل ذلك يا بني فهم ونسنا وراحتنا، وسعادتنا برؤيتهم يركضون ويلعبون من حولنا، فكما يقال ليس هناك أعز من الولد إلا ولد الولد.

قال لها: لا حرمنا الله منك ولا من والدي يا أمي الحبيبة...

ولكن هل هم لوحدهم أم معهم حميدة؟

أجابته والدته: حميدة معهم تراعيهم وتراقبهم، اطمئن يا بني.

حسنًا يا أمي، دعيهم يعودوا للبيت، فكما تعلمين حان موعد نومهم.

ثم أنهى الاتصال.

قام يبحث عن شيء يأكله فقد شعر بالجوع يقرص معدته، لم يجد غير الأجبان والعيش وبعض الفواكه.

أستغفر الله، أتعب وأشقى وأحضر كل طلبات البيت وهذه النتيجة!

فتح خزانة المعلبات وأخرج علبة معكرونة وقرر أن يقوم بطهيها مع الصلصة.

جهزت المعكرونة خلال ربع ساعة فوضعها بطبق وأخذها إلى غرفة الجلوس ليتناولها بهدوء أمام التلفاز..

وبينما هو يأكل دخل أبناؤه وركضوا باتجاهه فرحًا.

سأله ميسر: ماذا تأكل يا والدي فأنا جائع جدًا.

أجابه: أحضر لك ملعقة وتعال يا بني فقد طبخت معكرونة بالصلصة والجبن التي تحبها وهناك كمية كافية.. هيا أسرع.

أسرع ميسر ومعه إخوانه وأحضر كل منهم ملعقة وجلسوا بجوار أبيهم والتهموا الطبق كاملًا، فقام عادل ليحضر لهم باقي المعكرونة

وجلسوا سويًا يأكلون وعادل يشعر بسعادة تغمره لرؤية أبنائه والحماس يرتسم على وجوههم البريئة وهم فرحون بما أعده لهم والدهم وكأنها ألذ وجبة!

وما إن انتهوا حتى طلب منهم غسل وتفريش أسنانهم وارتداء الملابس الخاصة بالنوم..

فأسرعوا إلى غرفتهم وهم يتسابقون من يصل أولًا.

وبينما هم هكذا إذ فُتح الباب ودخلت والدتهم إلى البيت، وحين رأتهم يركضون، صاحت: ما هذه الفوضى؟! لمَ أنتم مستيقظون حتى هذا الوقت؟! أليس من المفروض أن تكونوا بفراشكم الآن؟!

حينها اختفى الجميع من أمامها سريعًا، ولكنها استمرت بصياحها قائلة: طبعًا إن غاب القط يلعب الفأر، لا احترام ولا أدب ولا شيء، وأنت.. ألست والدهم؟! ألا تستطيع فرض قليل من النظام حتى يطيعوك بدلًا من هذه الفوضى التي تعم البيت؟!

وما هذه الأطباق الملقاة على الأرض؟! أين هي تلك السلحفاة حميدة؟! إن لم تستطع أنت حملها وتنظيفها، على الأقل نادِ عليها ودعها تؤدِ عملها الذي تأخذ مالًا عنه.

شعر عادل بالدم يغلي بعروقه من صوتها المرتفع وغضبها على شيء لا يستحق كل ذلك الانفعال.

أخفضي صوتك وتمالكي نفسك ولا تتطاولي عليّ بكلام فارغ..

نعم، احترمي هذا الرجل الواقف أمامك، لستُ أحد أبنائك لتوجهيه وتربيه، هل تسمعين؟! صوتك هذا منذ اليوم لن يعلو لا بوجودي أو بغيابي.

أجابت بسخرية: ما شاء الله.. وتهدد أيضًا! هذا بيتي أفعل ما يحلو لي به، أرفع صوتي وأسيّر الجميع كما أشاء، أين أنت أساسًا من حياتنا؟! هل خطر على بالك هكذا وفجأة بأنك ستغير الأشياء من حولك؟!

عجبًا.. ومنذ متى؟! فأنت هنا كالضيف، كل شيء موجود لخدمته، ملابسك جاهزة ونظيفة وطعامك في وقته...

لا تعلم أي شيء عني وعن أبنائك، مَن مرض، مَن نجح، مَن يحتاج رعاية..

ما يهمك هو الجلوس أمام التلفاز ساكنًا دون حراك وتغيير القنوات، إن كلمتك لا تسمعني، وإن شكوت مما أمر به، هززت رأسك فقط ولم تُعرني انتباهك.. أي رجل تتحدث عنه أنت!

أين هو هذا الرجل الذي تريد مني احترامه؟! عذرًا.. أنا لا أرى هنا أي رجل، مجرد شبح لظل رجل أو خيال مآتة!

هنا لم يستطع عادل احتمال كل هذا البهتان والبذاءة التي تنهال كالقذائف من فمها، كان من الممكن أن لا

يعيرها اهتمامًا ويكتفي بالصمت والتجاهل كما يفعل معها دومًا..

ولكن اليوم وبعد كل ما مر فذلك شيء مستحيل!

ارتفعت كفه عاليًا وصفعها بقوة على وجهها، صفعة جعلتها تسقط أرضًا ومن شدتها أصابها ذهول، لم تنبس حتى بصرخة ألم، بل وضعت يدها على خدها ونظرت إليه برعب

وهو يقترب منها، وعيناه يتطاير منها الشرار ثم أمسك بخصلات شعرها بقوة قائلًا لها وهو يهز رأسها يمينًا ويسارًا...

هل رأيت الرجل الآن يا سميرة؟! هل بلغت بك الوقاحة والجرأة أن تطعني وتشككي في رجولتي أيتها الوقحة !

هل تعتقدين أن تعاملي معك بكل صبر وتسامح هو ضعف بشخصيتي؟!

هل تفسرين تحملي وصمتي عليك بأنني جبان لا أقوى على مواجهتك؟!

لا يا سيدتي.. إن أبقيت عليك بحياتي تأكدي لسبب واحد فقط، أبنائي، لا أريد حرمانهم من أمهم.

ولكن أقسم لك، أفضل أن يعيشوا ويُربوا بدونك، لأن الحياة معك هي الجحيم والعذاب.

أي صنف من النساء أنتِ! من أي عجينة شُكلت طباعك وغرورك! أنت لا تُطاقين أبدًا والله لا تُطاقين.. الحياة معك هي عنوان للشقاءوالجحيم الذي أصبحت أعيشه معك كل يوم، جعلتني أكره نفسي بل وحياتي كلها.

رفع عينيه، وجد أبناءه أمام غرفتهم والخوف يعتريهم، والصغير البالغ من العمر خمسة أعوام يبكي فزعًا وهو يحتضن أخاه الأكبر منه عمرًا ويرتجف خوفًا.

إلى جانبهم تقف حميدة والفزع والخوف يطل من عينيها وهي تحاول إقناع الصغار بالعودة إلى غرفتهم، بعيدًا عما يحصل بين والديهم.

حينها تراجع عادل إلى الخلف متأثرًا لرؤية أبنائه بتلك الحالة من الرعب.

أسرع نحو غرفته وأغلق عليه الباب وهو يرتجف غيظًا مما أدت إليه وقاحة زوجته وبذاءة لسانها، رغم ذلك كان لا بد أن يتحكم بأعصابه ولا يمد يده عليها.

لقد نشأ على أن من يمد يده على امرأة هو شخص ضعيف لا يقدر على حل أي مشكلة إلا بيده، لا بالحكمة والتروي.

لماذا لم يُراعِ بأنها طلبت منه أن يجلب لها تصريحًا للخروج بأوقات الحظر لرعاية والدها المقعد وإعطائه أدويته في وقتها، فهي أقرب إليه من باقي أخواتها، ولديها أخت أخرى تعيش مع زوجها وأطفالها خارج المدينة؟

شعر بالاختناق وضيق بصدره، ففتح باب الشرفة الخاصة بغرفة نومه، ثم ألقى نفسه على أول مقعد صادفه، وتنفس بعمق، محاولًا السيطرة على أعصابه، وبيد مرتجفة تناول سيجارة من علبة موضوعة على الطاولة وأشعلها، متأملًا ما حوله، هناك بالركن شجرة صغيرة للفل الأبيض وكذلك للورد البلدي ذي اللون الأحمر جاءت بهما زوجته لتزين بها الشرفة وتكون متنفسًا لهما من صخب الصغار، وليحظيا ولو بالقليل من الوقت سويًا، يتناولان فيه فنجاني القهوة صباحًا، والاستمتاع بمشاهدة الغروب مساءً، إن كانت في حالة نفسية هادئة وهذا شيء نادر.

كانت الشرفة مساحتها متوسطة، تطل منها على مدخل العمارة ولكن لا يستطيع أحد من الخارج رؤية مَن بالداخل، فقد روعي بناؤها بحيث تحافظ على الخصوصية.

وقف عادل وهو ينفث دخان سيجارته محاولًا التحكم في ارتعاشة يديه، متمنيًا لو عاد به المشهد ليمسح بها نظرات الرعب التي أطلت من أعين أبنائه!

لقد تحمل الكثير والكثير من أجلهم، تجرع كأس المرارة والألم والقهر على يدي أمهم ولم يحاول حتى الاعتراض..

فقد فشلت كل محاولاته في إصلاحها، فعنادها ولسانها الطويل شيء أساسي بشخصيتها تربت ونشأت عليه.

ظل يحدق بالأفق لعله يشعر بقليل من الرضى عما حدث معه، أو ثغرة صغيرة تبرر ما يمر به من أحداث تفوق قدرته على التحمل.

لم يشعر بمرور الوقت حتى سمع صوت باب الغرفة يُفتح بهدوء وزوجته تسير باتجاه الغرفة الخاصة بخزانة الملابس.

تابعها بنظراته ليتحقق مما تفعله مفضلًا الصمت مكتفيًا بمراقبتها.

أحضرت حقيبة كبيرة الحجم ثم فتحت خزانة الملابس وبدأت تضع مجموعة من الملابس واضح بأنها تخصها.

تقدم بهدوء حتى أصبح داخل الغرفة مواجهًا لزوجته، سألها محاولًا التحكم في نبرة صوته: ما الذي تفعلينه الآن؟!

لم تجبه، بل أشاحت بوجهها مستمرة بوضع المزيد من الملابس.

أمسك ذراعها بقوة وأعاد السؤال، ولكن هذا المرة بنبرة صوت أعلى وأقوى: ما الذي تفعلينه يا سميرة؟! تكلمي.

أجابته وهي تسحب ذراعها بعيدًا عن قبضته: أحضر ملابسي لأنني لن أبقى معك دقيقة واحدة بهذا البيت.

وإلى أين ستذهبين في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟

إلى منزل والدي، لم يعد باستطاعتي البقاء هنا بعد قيامك بصفعي وإهانتي أمام أبنائي.. مستحيل.

أجابها: ذلك شيء صدر رغمًا عني يا سميرة، أنتِ من أجبرتني على ذلك، لا تعلمين ما الذي حدث معي من مشاكل بالعمل، وحينما عدت للبيت رغبت بالجلوس معك لأبوح لك بكل شيء ولكنك لم تعطيني فرصة.

كل ذلك ليس عذرًا لما فعلته مهما بررت وقلت.

عادل لقد أهنتني وكسرت قلبي...

لم تكن صفعتك تلك على وجهي فقط، بل كانت صفعة لكل شيء يربطنا سويًا، منذ متى ترفع يدك عليَّ؟! هاه..

هذا شيء غير مقبول، غير مقبول على الإطلاق.

وانحبس صوتها وانهمرت دموعها بغزارة وهي تشهق وعلا صوت نحيبها.

فلم يتمالك نفسه وأخذها بين ذراعيه واحتضنها وهو يهمس بأذنها: آسف حبيبتي، أنا آسف، أنتِ صادقة، لا عذر لي أبدًا، أرجوك اهدئي ولا تبكي..

فقط سامحيني، لحظة ضعف وتهور وأنا فعلًا نادم عليها.

أمسك بيدها وهي تنتحب وأجلسها على مقعد بالشرفة وقال لها: اجلسي هنا وسأصنع لك كوبًا من عصير

الليمون بالنعناع الذي تفضلينه وسنتحدث في كل شيء وأفسر لك ما حدث معي اليوم، فقط اهدئي.

وركض مسرعًا ليحضر لها العصير، وعاد إلى الشرفة حاملًا معه كوبًا تفوح منه رائحة النعناع المنعش والليمون..

ناولها إياه وجلس إلى جوارها يراقبها بصمت.

شربت من الكأس بضع رشفات ثم وضعتها على الطاولة أمامها، وقالت له بنبرة صوت حاولت التحكم به: تفضل قل لي، وضح لي عذرك، وماذا عن عملك؟

هل هناك مشاكل غير ما اعتدتْ عليه يوميًا؟!

هيا تحدث، كلي آذان صاغية.

لم تعجبه نبرة السخرية بكلامها ولكنه تغاضى عن ذلك، فهو يرغب بأن تفهم وتقدر ما مر به وعاشه اليوم من قهر وغيظ وإحساس بالغبن والظلم.

حكى لها كل صغيرة وكبيرة، وكيف تم الاستغناء عنه بكل بساطة بحجة إفلاس الشركة وعدم استطاعتها الوفاء بالتزاماتها تجاه عملائها وموظفيها.

لم يكد ينتهي من كلامه حتى وقفت من مكانها وهي غير مصدقة لما سمعته منه وهي تردد بصوت عالٍ يكاد يشرخ ستار الليل وعتمته: ما الذي تقوله يا عادل؟! فصلوك من عملك؟! هكذا بدون أسباب؟! ولمَ أنت بالذات؟!

رغم كل شيء؟! إخلاصك لهم؟! غيابك عنا وعن بيتك وأطفالك وساعات العمل الطويلة تلك.. كل ذلك ضاع هباء؟!

مستحيل يا عادل!

أمسك بيدها المرتجفة محاولًا تهدئتها: أخفضي صوتك يا سميرة رجاء، الكل نيام.. اهدئي بالله عليك.

أفلتت يدها من يده بقوة وهي تقول: كيف لي أن أهدأ؟! ما الذي سيحل بنا بحياتنا.. أبنائنا؟!

هذا كله نتيجة صمتك وسكوتك وتهاونك طيلة هذه الأعوام، لم تطالب بحقك بالترقية، لم تطلب بدلًا عن ساعات دوامك خارج أوقات العمل، ولا عن سفرك من مدينة لأخرى لتخليص أعمالهم.

تفضل.. طبيعي أن يتم الاستغناء عنك وبهذا الشكل المجحف، وبكل بساطة!

استقلوا بك يا عادل واحتفظوا بمن يعملون لهم ألف حساب وحساب.

كم مرة نبهتك وقلت لك لا تجعلهم يستغلوا طيبتك وخضوعك لكل ما يطلبونه منك هكذا دون مقابل، قلت لك تكلم، اعترض، طالب بحقوقك المهدرة، ولكن لا حياة لمن تنادي!

وهذه هي النتيجة يا عادل تفضل.. أقالوك من عملك هكذا ببساطة، لم يقدروا سنوات خدمتك وإخلاصك واجتهادك!

شعر عادل بالدم يغلي بعروقه ويكاد يفقد تحكمه في أعصابه مرة أخرى..

وتملكته تلك الرجفة تسري به من رأسه حتى أخمص قدميه.

حينها قام من مكانه محاولًا التحكم بنبرة صوته قائلًا لها بكل هدوء: سأدعك الآن لترتاحي وتهدئي وتفكري بكل ما أخبرتك به بروية بعيدًا عن أي انفعال أو تهور..

واعلمي جيدًا بأنني لن أقف مكتوف اليدين، فهذه مسؤوليتي أنا وحدي، وأنا من سيتحمل النتيجة، لا أنتِ

ولا أبناؤنا..

سأتركك حتى تخلدي للنوم، وسنكمل الحديث في الموضوع غدا بإذن الله.

سأذهب للنوم بغرفة الضيوف حتى تأخذي راحتك، والصباح رباح يا سميرة.. تصبحين على خير.

خرج مسرعًا من الغرفة حتى لا تلاحقه باعتراضها وبكلامها الذي يجعله يشعر بأنه لا يساوي شيئًا.

رافقه صوتها المرتفع وهي تقول: اهرب يا عادل كعادتك دومًا في مواجهة مثل هذه الأمور.

أنت بالفعل كالنعامة تدفن رأسها بالتراب هربًا وجبنًا من أعدائها، هكذا أنت وستبقى دومًا لن تتغير.

حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل في الشركة وفي المدير وفي تلك الحمى الحمراء أو الصفراء لا أعلم ما لونها تبًا لها بأي لون كانت عليه فهي أساس البلاء الذي أصاب العالم، مغيرًا كل من شيء حولنا حتى فقدنا طعم ولذة الحياة يا عادل يا زوجي الحبيب، رددت بينها وبين نفسها باستهزاء ...الحبيب جدًا! أين ذاك الحب يا حسرة؟!! بلا حب بلا بطيخ.

فتح عادل الغرفة الخاصة بالضيوف وأغلق الباب وراءه بالمفتاح حرصًا منه على عدم إزعاج سميرة له أو رغبتها في إكمال موالها بالندب والعويل..

يكفيه كل ما مر به في يومه هذا لتأتي هي وتكمل عليه.

وارتمى على فراشه وهو يشعر بالضيق ولكنه ردد: وماذا توقعت منها؟!..

أن تتعاطف معك أو تواسيك وتساندك وتقول لك أنا بجانبك لا تحمل همًا، أزمة وستمر بسلام؟!

هذا بالأحلام يا عادل، من نشأ على طبع سيئ لن يتغير أبدًا، بل كلما كبر يزداد اعوجاجًا.

ثقلت عيناه وتثاءب وهو يهيل عليه الغطاء داعيًا الله بأن يهديها ويصلحها وينير بصيرتها من أجل أبنائها، فالحياة معها أصبحت مستحيلة ولا تطاق.

أشرق الصباح وتسلل ضوء من أشعة الشمس لينير أرجاء الغرفة.

تقلب عادل بفراشه منزعجًا وأدار ظهره محاولًا العودة إلى نومه، فلمَ العجلة؟ لا عمل ولا دوام ولا التزام بوقت حضور..

لا شيء يستدعي القيام من فراشه الدافئ.

وبينما هو يحاول الاستمتاع بأفكاره تلك، سمع طرقًا متواصلًا على باب غرفته.

كاد يصيح بأعلى صوته: كفى إزعاجًا وتوقفوا عن الهبد على الباب.

إذا به يسمع صوت ابنه موفق مناديًا: أبي.. استيقظ على الفور، هيا فقد بدأ دوام المدرسة أون لاين.. استيقظ يا أبي تعالَ وبسرعة.

لا حول ولا قوة إلا بالله، سآتي على الفور يا بني.

وعلى عجل أراق الماء على وجهه حتى يستطيع فتح عينيه المجهدتين.

فتح باب الغرفة، وجد موفقًا ينتظره والقلق يرتسم على وجهه، أمسك بيده وأسرع يركض باتجاه غرفة الجلوس قائلًا لأبيه: هيا أسرع يا أبي فقد بدأ الدوام بالمدرسة، وإن لم أسجل حضوري سيعتبروني غائبًا.

جلس عادل إلى جوار ابنه الذي أعطاه ورقة سجل بها اسمه ورقم المرور الخاص به قائلًا له: حاولت كثيرًا استخدام المكتوب هنا ولم أعرف يا أبي.

نظر إليه عادل متسائلًا: وكيف كنت تدخل قبل ذلك يا بني؟

نظر موفق إليه نظرة عتاب وتعجب مما سمعه... والدتي هي من تقوم بذلك كل يوم، وقبل الموعد بنصف ساعة، حتى إن تعطل عليها الاتصال بالإنترنت، لا يؤثر ذلك على الوقت المحدد لبدء الدراسة.

حينها كاد عادل ينفجر غضبًا وهو يقول ولماذا لم تقم بذلك اليوم؟

ما الذي تغير يا موفق؟

لا شيء تغير يا والدي، ولكن والدتي قالت لي بأنك من سيقوم بذلك لأنها مشغولة مع أخي ميسر، لديه اختبار بمادة اللغة الإنجليزية ولا وقت لديها لمتابعتي.

(هكذا إذن!) أجابه والده بنبرة يشوبها الغيظ.. على كل حال دعنا نبدأ الآن دونما تأخير.

وأمسك بالورقة وبدأ يسجل بيانات ابنه على صفحة الموقع الرسمي للمدرسة.

فُتحت الصفحة وظهر اسم ابنه كاملًا، كما سجل على الفور حضوره.

ضغط عادل على أيقونة تمثل جدولًا للمواد التي يتم تدريسها.

ومن الواضح بأنه قد تم توزيع وترتيب المواد بدقة متناهية، فلكل مادة وقتها المحدد يتم الدخول عليها بالضغط على الأيقونة التي تحمل اسمها بالجدول.

بعدها يتم ظهور معلم المادة مباشرة أمام الطالب مرحبًا به وبجميع الطلاب المتواجدين معه مع ذكر أسماء كل منهم وعليهم الرد عليه على الفور.

بدأ موفق حصته الأولى، حينها تحرك عادل من مكانه مستغلًا انشغال ابنه بالتحدث مع معلمه، فقد وجدها فرصة ليقوم بتجهيز طعام الإفطار..

ولكنه جمد في مكانه حينما سمع صوت ابنه موفق يطلب منه عدم التحرك من مكانه والبقاء إلى جانبه ليساعده بالأسئلة التي سيطرحها عليه المعلم ولكن دون الظهور بشاشة العرض.

جلس عادل إلى جوار ابنه متذمرًا وسأله: يعني وكيف لي أن أساعدك يا شاطر وأنا خلف الشاشة!

نظر إليه موفق ضاحكًا وهو يقول: عندما يطرح عليّ الأستاذ سؤالًا يعطيني فرصة للتفكير، فأقوم بكتم الصوت عنه لأسمع إجابتك يا والدي، فعقلي ليس موقع قوقل لديه جميع الإجابة على كل الأسئلة.

(قوقل) هاه.. ما شاء الله وتعلم ما هو قوقل أيضًا! ونعم الذكاء يا بني! ولكني أفضّل أن تعتمد على نفسك لتتعلم وتفهم المطلوب منك دون مساعدة مني.

لست صغيرًا يا موفق فأنت الآن تبلغ اثني عشر عامًا ما شاء الله، وقريبًا ستصبح رجل البيت.

نظر إليه موفق مطولًا وهو يكتم غيظه ثم نادى على والدته: أمي، يا أمي، تعالي بالله عليك، فأنت وحدك من تفهميني.

جاءت والدته مسرعة على صوت ندائه لها، وهي تمسك بيدها اليمنى ابنها الثاني ميسر ذا عشرة الأعوام وباليد اليسرى كمبيوتر محمول وتساءلت متعجبة: ماذا هناك يا موفق؟!

تعالي ساعديني يا أمي، فقد بدأت الحصة الدراسية لمادة العلوم وأحتاج من يمدني بالأجوبة للأسئلة التي سينهال عليّ بها أستاذ المادة.

أقبلت مسرعة وجلست إلى جواره وهي تقول لعادل: ألا تستطيع القيام بشيء واحد مفيد، كمساعدة ابنك في حل واجباته؟!

اعتبرها من الآن وظيفتك الجديدة، أشغل بها نفسك حتى لا تتعود الجلوس هكذا فارغ اليدين دونما عمل مفيد.

نظر إليها عادل يكاد يتمزق غضبًا من سخريتها قائلًا لها هامسًا في أذنها: ألا تستطيعين أنت التحدث معي باحترام أكثر دون تهكم أو نبرة ساخرة أمام أبنائي؟!

ضحكت سميرة باستهزاء وهي تقول له: لم تتحمل عشر دقائق فقط لمساعدة ابنك وشرح الدرس له، وتريد مني أن أصمت ولا أتكلم! صدقني أعرفك جيدًا جدًا، مسؤولية البيت والأولاد آخر اهتماماتك، تحاول دومًا التهرب منها قدر استطاعتك والتحجج كعادتك بأعذار واهية لتلقي على كتفي أعباء كل شيء بهذا البيت.

صعبة جدًا حالتك يا زوجي العزيز!

تذكر بأنك الآن عاطل عن العمل ولا عذر لديك، فمن اليوم أبناؤك هم مسؤوليتك التامة.

صاح عادل: اصمتي وكفي عن السخرية والاستهزاء بي، وإلا والله سأقطع لسانك هذا من مكانه!

اصمتي يا سميرة.. يكفيني بالله عليك ما أنا فيه، ولا تحمليني فوق طاقتي، فلم يعد باستطاعتي تجاهل تهكمك وأسلوبك البغيض..

لسانك هذا يومًا ما سأنزعه من فمك وألقي به بأقرب حاوية للقمامة!

قامت سميرة من مكانها وهي تصيح بوجهه: والله لن تجرؤ أبدًا، ويدك هذه الله يكسرها قبل أن ترفعها عليّ مرة ثانية.. هل تفهم؟ ما فعلته معي بالأمس لن يتكرر مرة أخرى..

من أنتَ حتى تجرؤ على مواجهتي؟! فلتعلم يا عزيزي بأنك لا شيء بالنسبة لي.

وارتفع صوتهما عاليًا، وكل منهما يصرخ بوجه الآخر.

هنا تدخل موفق قائلًا لهما: أبي، أمي أرجوكما، الأستاذ يستمع إلى كلامكما الآن، لا تحرجاني أمامه أرجوكما.

شكرًا لم أعد أحتاج إلى مساعدة أي منكما. وأخذ الكمبيوتر المحمول الخاص به وتوجه الى غرفته وأغلق الباب خلفه بقوة، معبرًا عن غضبه وعدم رضاه مما يدور من نقاش بين أمه وأبيه.

كان كل ما يسمعه منهما يتسبب في قلقه وتوتره أكثر، مع شعوره برغبة قوية للبكاء، يقابلها محاولة التماسك أمام أخويه الأصغر منه عمرًا.

لقد أصبح خلافهما شبه يومي وصوت شجارهما لا يحتمل، وأكثر ما يزعجه هو نظرة الخوف التي تطل من عيني أخيه الصغير منير..

لماذا هما هكذا دومًا في حالة شجار مستمر؟! فلم يعد يسمع غير صوتهما المرتفع والاتهامات المنهالة من كل منهما للآخر..

جعلاه يشعر بأنه لم يعد طفلًا يحق له اللعب مع أقرانه، بل كبر كثيرًا قبل أوانه ليقوم بحماية كل من أخويه ميسر ومنير، محاولًا التخفيف عنهما بكل طريقة ممكنة.

ولكن من يخفف عنه؟! من يمسح عن قلبه ذلك الخوف مما ستصبح عليه الأمور بينهما بالأيام المقبلة؟!

لقد أصبحا مصدر ألمه وشعوره بأنه أقل من باقي أبناء عمومته أو خالاته..

فهو لم يرَ أبدًا ولم يسمع مشاكل ومشاحنات لديهم، مثل ما يحدث في بيتهم وبين أحب الناس إليه أمه وأبيه.

وانهمرت دموعه سريعًا، لم يحاول منعها، بل وضع رأسه بين كفيه وهو يحاول ألا يصدر صوتًا، فقد تعود

على البكاء دون أن يشعر به أو يلتفت إليه أحد.

غادر عادل شقته متوجهًا إلى الطابق الثالث فقد كان يشعر بالجوع وبحاجة إلى شرب فنجان من القهوة يريح بها الصداع الذي يلازمه منذ الصباح.

دخل شقة والديه باحثًا عن والدته، وجدها تحضر طعام الغداء لوالده،

طعام الغداء وهو لم يتناول طعام الإفطار بعد!

أقبلت عليه والدته مرحبة به، قبل يدها ورأسها قائلًا لها: أمي الغالية، أحتاج فنجانًا من القهوة من يديك الحلوتين فضلًا.

أبشر يا حبيب قلبي، دقائق وسأحضرها لك، ولكن هل تناولت فطورك يا بني؟

لا يا أمي، تعلمين جيدًا بأنني أولًا أشرب قهوتي، هذا أهم شيء عندي الآن.

حسنًا يا بني.. اذهب إلى غرفة الجلوس وارتح، وسأجلب لك فنجانك هناك يا حبيبي.

تمدد عادل على أول مقعد أمامه، محاولًا كل جهده التنفس بعمق والتفكير بهدوء.

سميرة.. لمَ كل هذه التصرفات واختلاق مشاكل من لا شيء؟!

لمَ لا تشعرين بي؟! بمعاناتي وبحزني الساكن داخل قلبي؟! أين ذهب حبك لي؟! هل تبخر هكذا فجأة؟!

عشنا سويًا ببداية زواجنا على الحلوة والمرة..

كنا نعيش بشقة صغيرة وكنت تملئينها بضحكاتك العذبة وابتسامتك الجميلة التي كانت تزيدك جمالًا.

كانت هناك أوقات تتعبين فيها وتعبرين بها عن سخطك ويزداد صخبك ويعلو صوتك، ولكن سرعان ما تعودين إلى هدوئك وتعتذرين لي بحجة التعب وخاصة عندما حملت بطفلنا الأول موفق.

عانيت كثيرًا بحمله وكنت أتحمل كل تصرفاتك برحابة صدر مقدمًا لك كل عذر ممكن لأنني بالفعل أحببتك من كل قلبي.

وجاء ابننا موفق وغمرتنا السعادة، كنا نجلس أنا وأنت ننظر إليه بالساعات ولا نكتفي.

وبدأت بالتغير شيئًا فشيئًا، مستغلة حبي لك ولابني وعدم رغبتي بالرد عليك، والدخول في مواجهات لا طائل لها.

ووضعت ابننا الثاني ميسر، وهنا بدأ التغير يزداد وكأنك امتلكت حياتي وكياني وحريتي..

وبناء عليه زاد تحكمك بي ومحاولتك تقييدي أكثر فأكثر.

وحين انتقلنا للعيش بالشقة الخاصة والتي أهداها لنا والدي، لم يعجبك الأمر أبدًا، وعلا صوتك معترضة، تريدين البقاء بعيدًا عنهما بحجة أنهما سيتدخلان بحياتنا الخاصة، وأخذت مني الوقت والجهد حتى اقتنعت أخيرًا وقبلت بالأمر الواقع.

وضعت ابننا الصغير منير في بيتنا الجديد، وكان الكل فرحًا به وكأنه طفلنا الأول.

الجميع كانوا يعملون على راحتك وتدليلك.

ولكنك انتهجت أسلوب التجاهل والعناد، ومقابلة المعاملة الطيبة وخاصة من والدي بسوء خلقك وأسلوبك بالكلام معهما بطريقة وألفاظ لا يليق قولها لمن هما بمكانة والديك.

وتحملت الكثير حتى يسير المركب بخير، وليحظى أبناؤنا بعائلة يشعرون معها براحة وسعادة وبالانتماء

لها ولكن...

استيقظ من أفكاره تلك على صوت والدته وهي تنادي:

عادل...عادل تفضل كوب القهوة.

سلمت يدك يا أمي.

ما بك يا بني أناديك وأنت غارق في عالم آخر؟ ما الذي تفكر به جعلك لا تسمعني؟!

آه يا أمي.. ماذا أقول لك؟ اجلسي حبيبتي فأنا أود استشارتك بأمر مهم جدًا، ولكن قبل كل شيء أين والدي؟

جلست بالمقعد المجاور له... والدك نائم، هذه فترة قيلولة الظهيرة.

قل يا بني ما بك؟ ما الذي يشغل بالك وترغب باستشارتي به؟

أمي، لقد وصلت الأمور بيني وبين سميرة إلى طريق مسدود، لا فائدة يا أمي، لقد تحملت بما فيه الكفاية..

كل ذلك على حساب نفسي وراحتي وأعصابي، متأملًا بصبري عليها أن تتفهم وتتغير وتقدر الحياة فيما بيننا..

ولكنها كل يوم تزداد عنادًا واصرارًا على افتعال المشاكل أيًا كانت، تختار الأوقات التي أحتاج فيها إلى الراحة والهدوء..

فلا تحب إلا إزعاجي بشكاوى هي تراها نهاية العالم، ولكنها أشياء تافهة ولا تستحق كل ذلك الانفعال والغضب يا أمي.

يا بني طول بالك ولا تفقد صبرك وحكمتك، مهما كانت هي أم أولادك، انصحها، تكلم معها بروية ومحبة..

افهم منها سبب غضبها، حاورها وخذ وأعطِ معها..

هي تحتاجك يا بني، تحتاج لمن يسمعها..

كما أنها لا تعمل ولذلك وجودها في البيت مع الأولاد مهم..

تتابع كل شيء بنفسها وكل ما يتعلق بهم وبالبيت وبك أيضًا..

وتعود أنت من عملك لتجد منزلًا نظيفًا ومرتبًا، وأبناؤك قاموا بحل ودراسة واجباتهم المدرسية..

كل هذا ليس بالشيء اليسير يا عادل..

ثم تأتي أنت وتستهين بها وبمجهودها وتقول تفتعل المشاكل؟!

اسمح لي يا بني، تعلم جيدًا أنني دومًا مع الحق، نعم هي عصبية بعض الشيء وسريعة الانفعال قليلًا، ولكنها قائمة بواجباتها الزوجية على خير ما يرام..

بيتكم قمة بالنظافة والترتيب والنظام، وكذلك أبناؤك، كل شيء يتعلق بهم منظم ومرتب، الأكل بمواعيد والنوم في أوقات محددة.

أمي.. أنت ترين الظاهر فقط، ولكن الواقع أعيشه أنا كل يوم وأدفع ثمنه من قدرتي على التحمل..

إنها تتطاول عليّ وتهزأ مني أمام الأولاد وتهينني يا أمي..

كل ما ذكرته لا قيمة له عندي إن لم تحترمني وتعاملني معاملة أستحقها كزوجها وشريك حياتها وأب لأبنائها.

أمي أنا أفكر جديًا بالطلاق، نعم الطلاق هو الحل الوحيد.

لم أعد أستطيع الاستمرار معها، الحياة معها هي الجحيم بعينه..

أن استمررت معها بهذه الحالة حتمًا إما أني سأجن وأفقد أعصابي أو أتصرف تصرفًا لا تحمد عقباه يا أمي..

صدقًا لقد تعبت منها ولم يعد لها مكانة ولا محبة بقلبي.

طلاق.. أعوذ بالله!! لا يا عادل لا تفكر به أبدًا هل تسمعني، لديك أخت وحيدة هي قرة أعيننا وقلوبنا، هل ترضى أن يفعل معها زوجها ما تفكر به أنت الآن، يطلقها متحججًا بأنها لا تفهمه ولا تقدره؟! اتق الله يا بني في بنات الناس.

إن كانت أختي في مثل سوء أخلاق زوجتي لا قدر الله، فهي تستحق ذلك.

وأنا أعلم جيدًا بأنك ربيتها خير تربية، لقد نشأت وتربت على احترام زوجها والحرص على القيام بواجباتها الزوجية تجاهه على أكمل وجه..

والحمد لله منذ زواجها لم نسمع من زوجها فارس أي شكوى أو تذمر منها يا أمي وهو صديقي وليس ابن عمتي فقط.

حسنًا يا بني.. كل ما أرجوه منك أن لا تتعجل بقرارك بالطلاق، بل فكر مليًا وبروية، وخاصة في أبنائك ما الذي سيحل بهم حينها، هل سيسامحونك على حرمانهم من أمهم أيًا كان عذرك؟!

اهدأ وراجع نفسك يا عادل أرجوك، هناك ألف طريقة لمعالجة الأمور غير الطلاق.

وقامت من أمامه مسرعة حتى لا تسمع منه اعتراضًا أو تعليقًا لا يعجبها.

تركته هكذا وهي تشعر بالألم والحزن عليه وعلى أبنائه فهي تعلم كل العلم بأن كل كلمة قالها وكل شكوى تفوه بها صحيحة..

الجميع هنا يسمع صوتها المرتفع وهي تصيح سواء كان على زوجها عادل أوعلى أبنائها أو العاملة المنزلية المسكينة حميدة.

ولا يسلم من لسانها أحد، زوجتا الابنين خلود وليلى كم عانتا منها ومن افتعالها المشاكل دون وجه حق.

كما أنها تهجمت على ابنتها أميرة دون سبب واختلقت مشكلة كبيرة من لا شيء..

وأوقعت بين عادل وفارس زوج أميرة بنقل كلام كله باطل..

فقط حبًا في السيطرة، ولأن عادل يمضي غالب وقته مع زوج أخته لأنه قريب منه ويعتبره أكثر من كونه ابن عمته وزوجًا لأخته.

ولأنه يرتاح برفقته والحديث معه، فهو خير من يستمع إليه ويخفف عنه.

عادل يعاني كثيرًا منها منذ فترة طويلة؛ مما يجعلها تشعر بالحزن عليه، فهو يستحق أفضل من ذلك..

امرأة تقدره وتحترمه ولا تقلل من مكانته أمام أهله وأقاربه.

كان الله بعونك يا بني وألهمك الصبر والقدرة على التحمل.

عاد عادل إلى شقته وقد فقد شهيته ولم تعد لديه رغبة بتناول الطعام، فقد اعتذر لوالدته واكتفى بشرب كوب قهوته المرة، كمرارة أيامه مع زوجته.

دخل البيت، وجد زوجته ممسكة بمفاتيح سيارتها حاملة حقيبة يدها على كتفها..

إلى أين ستذهبين الآن يا سميرة؟

نظرت إليه بحدة مطولًا قبل أن تجيبه بنبرة غيظ: إلى منزل والدي فقد اتصل يبلغني برغبته بالقدوم إليه على الفور، لشعوره بأنه ليس على ما يرام، ويحتاج إلى وجودي بجانبه.

سأذهب مع السائق صبري لأن سيارتي تحتاج إلى تعبئة وقود للمحرك وتغيير الزيت.

كيف ستعودين للبيت إذًا؟! بعد بدء ساعات الحظر؟! التصريح بالخروج يحمل اسمك فقط لا اسم السائق.

نظرت إليه بحدة قائلة: سيعيد السائق سيارتي لي بعد إصلاحها قبل الوقت المحدد إن شاء الله.

وهل يهمك رجوعي للبيت حتى تهتم بسؤالي عن كيفية عودتي؟!

أعلم جيدًا جدًا بأنك تود ألا أعود، أمنية حياتك يا عزيزي..

صدقني أنا أيضًا لا أريد أن أرجع لمكان أشعر فيه بالضيق والاختناق والتعاسة وعدم الراحة، حقًا هذا إحساسي.

لقد تغيرت كثيرًا يا عادل للأسف، أعلم ذلك جيدًا من نظراتك التي تحمل لي الكراهية، حقًا لم تقولها لي أو تصرح بها، ولكنني أشعر بها جيدًا جدًا.

والله لولا وجود أولادي الصغار هنا ما فكرت للحظة بالعودة إليك، هم فقط من يجعلوني أجبر نفسي على العيش بهذه الحال معك وتحمل كل تصرفاتك وإهمالك واستهتارك لمشاعري.

عن إذنك تأخرت على والدي، فلا معنى للحديث معك ولا فائدة منه.

تابعها بنظراته وهي تغلق باب الشقة بقوة وراءها، وردد قائلًا في نفسه: الطلاق، نعم لم يعد هناك حل أو مخرج للخلاص من هذه المرأة إلا الطلاق ولا شيء غيره، لا بد أن أبعدها نهائيًا عن حياتي فلم يعد باستطاعتي تحملها أكثر من ذلك.

واستدار عائدًا إلى غرفة الجلوس، ولفت انتباهه بأن حميدة تقف عند باب المطبخ، ومن الواضح بأنها كانت تسترق السمع لكل ما دار بينه وبين زوجته.

نظر إليها نظرة جعلها تسرع الخطا إلى غرفتها وهي تتلفت حولها خوفًا من ردة فعله.

ولكنه تجاهلها فهي آخر مشاكله، ولا يلومها على خوفها منه، فقد تعودت على معاملة سميرة التي لا تخلو من الصراخ والتهديد بترحيلها إلى بلادها.

كان جو البيت بعد خروجها هادئًا جدًا، سبحان الله كأنها إعصار يجتاح المدينة ثم بعد الفوضى التي يتسبب بها، يعود السلام والسكينة وصفاء الأجواء!

تمدد بكسل أمام التلفاز ممسكًا بالريموت الخاص به، يقلب في القنوات لعله يجد ما يسليه ويبعد عنه جو الملل الذي لم يعهده بعد توقفه عن العمل.

وشد انتباهه قناة الأخبار، توقف عندها لعل وعسى يسمع ويشاهد شيئًا يتعلق بانفراج أزمة جائحة كورونا تلك وعودة الأمور إلى طبيعتها كما كانت من قبلها.

يا رب يا مغير الأحوال، فرّج همنا وأصلح من حالنا، وارفع عنا هذا الوباء يا رحمن يا رحيم.

وضع الصوت على أعلى مستواه وبدأ يستمع وكله آذان صاغية... (تؤكد منظمة الصحة العالمية الاستمرار بالعمل على دراسة الأوضاع عالميًا، ومتابعة الوضع الصحي أولًا بأول بعد ازدياد عدد المصابين بالحمى الصفراء.

وقد تم إغلاق حركة الطيران مؤقتًا حتى تستقر الأوضاع..

وفرضت مدن عديدة حظر ومنع التجول الكامل للسيطرة والحد من انتشار الوباء..

كما أن العديد من شركات الأدوية تعمل وعلى مدار الساعة لتوفير اللقاح المضاد للمرض بأسرع وقت ممكن، وقد تمت المرحلة الأولى بالتجربة على الحيوانات بنجاح تام..

وستبدأ المرحلة الثانية بإجراء عدة اختبارات على مجموعة من المتطوعين، حتى يحصل اللقاح على الموافقة من هيئة الغذاء والدواء.. والله ولي الأمر من قبل ومن بعد).

وبينما هو غارق بتفكيره، شعر بشيء يتمسك بقدمه اليمنى، نظر نحوه، وجد القط مشمش يحاول الوصول لأصابع قدمه كعادته معتبرها لعبته المفضلة.

كان هذا القط الخاص بسميرة فقد جلبته للبيت وعمره أربعة أشهر، وصار طفلها المدلل، تعلقت به كثيرًا وهو كذلك.

صارت لا تسمح لأي كائن من كان بإساءة معاملته نهائيًا..

حتى أصبح رفيقها، يتبعها أينما تكون، وإن خرجت ظل بانتظارها عند الباب حتى تعود..

والأدهى من ذلك، أنه كلما وقع شجار بينهما وتذهب هي غاضبة إلى غرفتها، يأتي هو سريعًا إليه ليقوم إما بعضه أو غرز مخالبه فيه بقوة، وكأنه حاميها والمدافع عنها..

لذلك كان الود بينهما مفقودًا.

وأصبح عادل يتحاشاه ولا يحب وجوده بالقرب منه.

قال له عادل: ماذا تريد يا سيد مشمش؟! اذهب هيا اذهب من هنا، هيا تحرك على الفور.

وما كاد يقذف به بعيدًا، حتى سمع صوت ابنه ميسر يقول له: حرام عليك يا أبي، لا تفعل ذلك به أرجوك.

وجاء يركض مسرعًا ليحتضن القط ويقبله وهو يقول له: حبيبي مشمش لا تزعل من بابا.

نظر إليه عادل وهو يبتسم لرؤية ابنه الصغير مدافعًا عن قطه.

قال له ضاحكًا: افرح يا عم مشمش، الكل معك ضدي.. يا حظك!

تساءل ميسر متعجبًا: أبي لماذا لا تحبه؟! مشمش طيب ولطيف.

لا أحبه لأنه مشاغب ويحب اللعب بأغراضي، كما أنه يصدر صوت مواء مرتفع، كنغمة تهديد كلما شاهدني قادمًا ولو من بعيد، هذا الذي تقول عنه طيب يا ميسر.

جاء موفق ومعه أخوه الأصغر منير، جلس منير بالقرب من والده، بينما جلس موفق بعيدًا عنهم، متظاهرًا بالانشغال باللعب في جواله.

تأمله عادل متسائلًا: ماذا بك يا موفق؟ ولماذا تجلس بعيدًا هكذا؟

هل انتهى وقت مدرستك؟

لم يجبه موفق والتزم الصمت، فهو ما يزال يشعر بالغضب مما بدر منه ومن والدته على مرآى ومسمع من معلمه، مما تسبب له بالإحراج وجعله يضطر إلى إغلاق صفحة المدرسة وعدم حضور باقي جدول الدراسة.

تعجب عادل من تصرف ابنه موفق وتأمله متسائلًا ما به، يبدو على غير عادته، ملتزمًا الصمت، وهو الذي يثير البهجة والصخب دومًا أينما جلس!

حاول أن يجعله يتحدث بسؤاله: ماذا تريد أن تشاهد على التلفاز يا موفق؟

لم يجبه بل أدار ظهره وأشاح بوجهه عنه.

موفق.. والدك يتحدث معك، ومن الأدب أن ترد على سؤالي لك.

نظر موفق إليه مطولًا ثم قال: لن أتحدث معك بعد ما صدر منك أمام معلمي يا أبي..

لقد أحرجتني وجعلتني أتمنى أن أختفي تمامًا..

أصبحت لا أجرؤ على العودة للدرس مرة أخرى.

ولكن والدتك هي.. إحم... وتلعثم عادل بالكلام ولم يعد يعلم ماذا يقول دفاعًا عن نفسه.

لماذا لا يحلو لكما الشجار إلا أمام معلمي وزملائي بالفصل؟!

تقول لي دومًا يا أبي: موفق..أنت لم تعد طفلًا!

إذًا لماذا تتصرف أنت ووالدتي كالأطفال؟!

وركض من أمامه مسرعًا إلى غرفته وأغلق بابها بقوة، معبرًا عن غضبه وعدم رضاه.

لم يستطع عادل الرد أو الكلام بعد ما سمعه من ابنه، لأنه في غمرة خلافاته مع أمه، لم يلتفت أو يبدِ اهتمامًا ليرى تأثير ذلك على أبنائه.

لأول مرة تفاجئه ردة فعل أحد منهم يحمل بقلبه ما هو أكبر من عمره.

شعر بأسى يتملكه ويسيطر عليه.. ما الذي يجعل طفلًا مثل موفق يتحدث بنبرة الحزن والقهر تلك؟! ما ذنبه ليعيش كل تلك المشاعر السلبية بينما من هم في مثل عمره حياتهم كلها لعب ومرح وسعادة؟!

ود لو ذهب وراءه إلى غرفته واحتضنه واعتذر له.

بالفعل، وقف أمام باب غرفته وطرقه عدة مرات ولم يجد إجابة.

وضع أذنه على الباب مسترقًا السمع ليصل إليه صوت موفق وهو يجهش بالبكاء.

تراجع للخلف وقد ارتاع مما سمعه، لم يخطر بباله للحظة أن موفق أثر به ما حدث اليوم، بل كل يوم من خلافات لا ناقة له فيها ولا جمل، سوى أنه ولد بهذه العائلة، هذا فقط كل ذنبه!

عاد عادل إلى غرفة الجلوس وحاول أن يسترجع شتات أمره ويجد حلًا جذريًا لما يحصل بينه وبين سميرة، ربما لو حاول النقاش والوصول إلى النقطة التي تبدأ منها المشاكل والتفاهم على كيفية حلها لمصلحة أبنائهما وصحتهم النفسية والجسدية أيضًا.

ربما عليه التنازل ولو قليلًا، بعدم مواجهتها عندما تحاول الاحتكاك به وافتعال مشكلة من لا شيء، نعم لا بد من تجاهلها وعدم الرد عليها حتى تهدأ.

تمدد أمام التلفاز مبديًا عدم الاهتمام بما يدور من حوله، أمامه طبق لا يعلم مكوناته وضعته حميدة أمامه ليتناول طعام الغداء.

تناوله سدًا للجوع، ثم عاد ليحدق بما يُعرض بالتلفاز وهو شارد الذهن.

لم ينتبه لمرور الوقت وبأن أبناءه قد خلدوا للنوم.

عم الصمت المكان، شعر بتعب وإرهاق وتكسير بجميع عضلات جسده.

غلبه النعاس فأغلق عينيه ولم يتحرك من مكانه..

حتى سمع ما بين النوم واليقظة صوت باب الشقة يُفتح وصوت مفاتيح تلقى بسرعة.

ثم خطوات قدمي زوجته وهمسها وهي تنادي على قطها مشمش، فقد تعودت على أن ينام بجوارها، الذي ما إن سمع صوتها حتى أقبل عليها مسرعًا، لتحمله بين ذراعيها وهي تقبل رأسه بسعادة لرؤيته.

لم يعرها اهتمامًا، واستمر بالتظاهر بأنه غارق بالنوم.

عاد الصمت والظلام يسودان المكان، فلم يكن يسمع إلا صوت تنفسه البطيء.

بينما هو يتقلب على أريكته محاولًا الاسترخاء، إذ سمع صوت صرخة مدوية، شقت جدار الصمت، قادمة من غرفة النوم الخاصة به وبزوجته.

نهض من مكانه فزعًا، وأسرع الخُطا إلى حيث مصدر الصوت، فتح باب غرفته بسرعة، كان الظلام يعم المكان، لم يكن باستطاعته رؤية أي شيء أمامه.

بحث عن مقبس الضوء بيد مرتعشة وأضاءه، وشخص بصره نحو غرفة الملابس، وأصابه الرعب..

كأنما تجمد الدم بعروقه، وتيبست أطرافه، فلم يعد يستوعب ما رآه!

زوجته سميرة ممددة على أرض الغرفة شاخصة العينين تحاول الكلام ولا تستطيع وقد احمر وجهها، وهي تشير بيدها بشيء لم يفهم منها ما هو.

أسرع إليها لمساعدتها، مقتربًا منها يجس نبضها، تملكه خوف شديد، النبض ضعيف جدًا.

تناول هاتفه المحمول من جيب بنطاله وبأصابع لا يكاد يتحكم بها اتصل على أخيه الدكتور عماد طالبًا منه الحضور على الفور.

كان يتحدث وهو يلهث، يكاد لا يلتقط أنفاسه بكلمات متسارعة وغير مفهومة.

وبينما هو يحاول جاهدًا توضيح ما حدث لأخيه..

إذ شعر بحركة خلفه، استدار بسرعة ليرى ماذا هناك، أو بالأصح من يقف وراءه، ولكنه تلقى ضربة قوية على رأسه، جعلته يقع أرضًا غائبًا عن الوعي.

أفاق من إغماءته ليجد عالمه مقلوبًا رأسًا على عقب!

هو ممدد على أريكة بغرفة الجلوس!

شيء غريب !!

ألم يكن قبل قليل بغرفته؟! عجبًا.. ما الذي جاء به إلى هنا؟!

نظر إلى يساره ليجد أخاه عماد ممسكًا بمعصمه يقيس ضربات قلبه ويتأكد من عودته إلى وعيه، يقف بالقرب منه رجلان يرتديان الزي الرسمي لرجال الشرطة.

تفحصهما بذهول وهو غير مستوعب لما يجري من حوله!

تقدم نحوه أحد الرجلين معرفًا بنفسه: المحقق (أسعد).. كيف حالك الآن يا سيد عادل؟ أرجو أن تكون بخير.

حرك عادل رأسه في إجابة بأنه بخير رغم الألم الشديد الذي كان يشعر به.

حينها جلس أمامه المحقق أسعد قائلًا له: هل تستطيع الآن إخبارنا بما حدث بالضبط؟

لا أدري، لا أكاد أتذكر ما الذي حدث يا سيادة المحقق.

حاول يا سيد عادل، بقليل من التركيز تستطيع تذكر ما شاهدته قبل أن يجدك أخوك فاقدًا للوعي.

حسنًا.. أعتقد بأن كل ما أتذكره هو سماعي لصوت صرخة عالية أفزعتني، نعم، ركضت بعدها لتتبع مصدرها..

حينها فوجئت برؤية زوجتي ملقاة على الأرض لا تستطيع الحراك، وأنا أحاول معرفة ما بها.

اتصلت بأخي عماد ليحضر على الفور، وبينما أنا أتحدث معه إذ شعرت بأن هناك من يقف خلفي، التفت فلم يعطني فرصة، فاجأني بضربة قوية على مؤخرة رأسي فأغمي عليّ على الفور.

أين هي زوجتي؟! نظر إلى أخيه متسائلًا: أين سميرة يا عماد؟! أجبني.

نظر أخوه إلى المحقق، فأشار إليه أن يجيب على تساؤل أخيه.

أمسك بيده وهو يحاول أن يكون هادئًا ومتماسكًا وثابتًا: مع الأسف يا عادل، حين وصلت إليك وجدت سميرة قد فارقت الحياة وأنت مغمى عليك بالقرب منها.

أجابه عادل مرعوبًا: سميرة ماتت يا عماد؟! ما الذي تقوله؟! هذا كابوس لا أكاد أصدقه ولا أستطيع أن أصحو منه!

هنا أجابه المحقق أسعد: زوجتك قُتلت يا سيد عادل، نعم لقد وجدنا زوجتك مقتولة خنقًا..

هناك من قام بخنقها حتى الموت، وإلى أن نتعرف على من قام بذلك العمل الإجرامي، أطلب منكم جميعًا عدم لمس أو الاقتراب من أي شيء بالغرفة..

ومنذ اللحظة ستُعتبر شقتكم مسرحًا للجريمة..

سيقوم المحققون من رجال الشرطة والمباحث الجنائية بالقيام بمهمتهم، بفحص كل ما فيها ورفع البصمات بكل حرص.

الرجاء إخلاؤها على الفور يا سيد عادل، والحضور إلى مركز الشرطة غدًا الساعة العاشرة صباحًا، لاستكمال بقية التحقيق معك ومع جميع من يقطنون هنا.

وانصرف من أمامه يرافقه زميله وهو يتحدث بهاتفه المحمول ويطلب من رجال الشرطة القيام بحراسة مكان الجريمة وعدم السماح لأحد بالدخول إليها.

قام عادل بعد انصرافه بالركض إلى غرفته، ولكن منعه أخوه قائلًا له: هيا بنا يا أخي إلى شقتي، سمعت ما قاله المحقق، ممنوع لمس أي شيء، فاتبع تعليماته ولا تحاول مخالفته..

وأنت أيضًا لا بد أن ترتاح قليلًا، وحاول تصفية ذهنك، حتى تستطيع الذهاب غدًا إلى مركز الشرطة بكامل وعيك وتركيزك يا أخي.

صاح عادل في وجهه: كامل وعيي!!

كيف هذا وأم أبنائي قد قُتلت في غرفتها وداخل بيتنا وأمام عيني، ولم أستطع مساعدتها؟!

ولكن أين أبنائي؟! أين موفق وميسر ومنير؟! أين هم يا عماد؟!

اطمئن يا عادل هم بالحفظ والصون، عند زوجتي بالبيت حيث قمت بالاتصال بها لأخذهم مع حميدة إلى شقتنا، ووضعتهم في غرفة الضيوف ليكملوا نومهم، فهم لم يشعروا بأي شيء مما حدث.

ماذا قلت لهم إذن؟!

لا تشغل بالك وحاول أن تتماسك من أجل أبنائك.

كان الله في عونك يا أخي وألهمك الصبر والثبات.

هيا تعالَ معي والصباح رباح بإذن الله.

وماذا عن أبي وأمي؟ هل علما بالأمر؟

الحمد لله لم يشعرا بشيء، فكما تعلم والداي يخلدان للنوم مبكرًا.

والله كنت قلقًا جدًا أن يصحو أحدهما عند سماع صوت سيارة الإسعاف أو الشرطة، ولكن ربك ستر.

سأحاول إبلاغهما غدًا صباحًا وكان الله في عوننا يا أخي.

لنذهب الآن، وأدعو الله أن يهون علينا مصابنا ويظهر الحقيقة ونعلم من هو المجرم معدوم الضمير الذي حرم أطفالًا من أمهم من دون وجه حق.

هنا أجهش عادل بالبكاء واهتز جسده حزنًا وقهرًا، فاحتضنه عماد قائلًا له: الله معك يا أخي، لا تخف ولا تحزن، الله معك، ثم نحن جميعًا إلى جانبك.

حسبي الله ونعم الوكيل!! رددها عادل وهو يخرج من بيته مطاطأ الرأس وهو يشعر بغصة مؤلمة تقف وسط حنجرته، وصوته لا يكاد يُسمع والدموع تملأ عينيه.

لم يكن يتوقع حتى بأسوأ أحلامه أن تفارقه هكذا!

كان كل ما يريده هو حل لمشاكلهما معًا أو الطلاق، أما الفراق بتلك الطريقة البشعة، فذلك أمر فوق قدرته وأكثر بكثير من قوته على التحمل.

دخل إلى منزل أخيه وطلب منه أن يرتاح بأي مكان فالبيت بيته.

ثم أحضر له غطاءً وسادةً وربت على كتفه وانصرف من أمامه دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

تمدد عادل على أريكة المجلس ووضع الوسادة والغطاء جانبًا، فمن أين سيأتي النوم ومن له رغبة بذلك والأحداث تتسارع من حوله؟!

أغمض عينيه متمنيًا أن يكون حلمًا أو كابوسًا وسيصحو منه، ولكنه فتحهما ولم يتغير شيء من الواقع الأليم.

وضع كفيه على وجهه وإحساس بالندم يكاد يمزق قلبه، على كل ما قاله لها، تمنى لو أنه استطاع أن يحتضنها بين ذراعيه قبل أن تفارقه وترحل عنه هكذا بلا عودة ولا حتى وداع.

بينما هو هكذا لم ينتبه إلى ظل يقف أمامه ينظر إليه طويلًا وبصمت.

رفع رأسه بفزع ليجد ابنه موفق يرتعش خوفًا وهو يقول له: ارتحت الآن يا والدي؟!

لقد رحلت أمي ولن تعود، لن تتشاجر معها، لن تسمع صوتها الذي لطالما شكوت لجدتي منه!

ما هذا الذي تقوله يا موفق؟! عن أي هراء تتحدث؟!

وكيف تكلم والدك بهذه الطريقة؟!

ما زلتَ صغيرًا على أن أشرح لك ما يجري بيننا، ذاك شيء لا يخصك أبدًا.

أبي أنا لست طفلًا صغيرًا، لا تستخف بي، أنا أفهم كل شيء، لقد كبرت قبل أواني بكثير، وإن كان الأمر لا يخصني حقًا كما تقول، فلمَ كنت تتشاجر معها أمامنا؟ هاه.. لماذا؟

لو كان شيئًا لا يخصني، لكنتما أخفيتما عنا صياحكما وشتائمكما لبعضكما أمام سمعنا وأبصارنا أنا وأخويّ..

ما كنت أسمعه كل يوم جعلني أكبر من عمري وأكثر تعاسة وحزنًا يومًا عن يوم..

واليوم رحلت عنا أمي وما يقولونه لي لا يقنعني..

لقد رأيت وسمعت كل شيء، سيارة الإسعاف والشرطة.

لكن يا بني أمك مريضة وسيارة الإسعاف أخذتها إلى المشفى لتتعالج.

أرجوك يا أبي يكفي، أنا لست غبيًا، لقد رأيتهم وهم يحملونها وسمعت كلام المحقق، سمعت كل كلمة.

أمي حبيبتي رحلت ولن تعود يا أبي، لن تعود، أرجو أن تكون سعيدًا ومرتاحًا الآن!

حاول عادل أن يتكلم ويدافع عن نفسه، ولكن موفق لم يمنحه فرصة لذلك.

ركض من أمامه وهو يبكي ويصيح: أمي.. حبيبتي يا أمي!

لم يعد باستطاعة عادل التحمل أكثر من ذلك، شعر بغليان برأسه يكاد يفتك به وضباب وصعوبة بالرؤية، فغاب عن الوعي وسقط على الأرض مغشيًا عليه.

لم يعلم كم من الوقت مر عليه وهو بهذه الحالة، ولكن أشعة الشمس التي غمرت المكان أظهرت له حلول الصباح.

هناك صوت بكاء، حاول أن يركز ليتعرف على صاحبه، وحينما فتح عينيه، وجد والدته تمسك بيده وقد اصفر وجهها واغرورقت عيناها بالدموع، وحين رأته قد استعاد وعيه، رمت بنفسها عليه وهي تقول: حبيبي يا بني، فداك قلبي وعمري يا بعد روحي أنت.

احتضنها وهو يشعر بأنه طفل صغير يحتاج للشعور بالأمان، لم ينطق بكلمة واحدة، فقط وضع رأسه على كتفها وهو يحاول ألا ينهار باكيًا أمامها.

ولكنه وجد يدًا تمتد بسرعة لتمسك بيده وتشده بقوة، كانت يد والده الذي قال له: قم يا بني واصلب طولك، لا أحب أن أراك هكذا، كن رجلًا ولا تفكر بنفسك فقط.

هناك أبناؤك، وهم في أشد الحاجة إليك الآن.. هيا تحرك.

وأنتِ يا أم عادل، كفي عن العويل والبكاء أرجوك، تمالكي نفسك قليلًا واذكري الله.

طلب والد عادل كوبًا من عصير البرتقال ليتناوله ابنه.

جلس عادل على أقرب مقعد وهو ما يزال يشعر بالدوار، مع رعشة وبرودة بأطراف يديه.

ناولته والدته كوب العصير، شرب منه قليلًا رغم عدم رغبته بتناول أي شيء·وفقدان شهيته للطعام أو الشراب.

سأحضر لك طعام الإفطار على الفور، فلا بد أن تتناول ولو القليل قبل ذهابك إلى مركز الشرطة.

تناول بضع لقيمات يقاوم بها شعوره بالضعف، لم يكن يشعر بمذاق أو رائحة الطعام وكأنما كان يتجرع المر..

لكنه أجبر نفسه، فهو سيحتاج لكل طاقته لمواجهة ما قد يمر به، وسيل الأسئلة التي ستنهال عليه من المحقق.

لا يهم أي شيء الآن، المهم هو كشف ستار الحقيقة، ومعرفة من قام بتلك الفعلة الشنيعة دون أن يراه أو يمنعه أحد.

دخل عادل إلى مركز الشرطة بصحبة كل من أخويه عماد وفؤاد.

طلب عماد من الشرطي الواقف أمام مكتب المحقق أسعد السماح لهم بالدخول.

عاد الشرطي إليهم وطلب من عادل مرافقته، وحينما اعترض أخواه نظر إليهم بحدة قائلًا: الأوامر بدخول السيد عادل فقط.. مفهوم؟ وحين يأتي دوركما سأبلغكما بذلك، هيا تعال معي يا سيد عادل فالمحقق أسعد بانتظارك.

دخل عادل برفقة الشرطي إلى مكتب المحقق حيث كان يجلس وراء مكتبه، وعلى يمينه مكتب صغير يجلس به رجل يرتدي البزة العسكرية.

أشار المحقق له بالجلوس بالمقعد المقابل لمكتبه.

جلس عادل وهو يحاول أن يبدو هادئًا ومتماسكًا قدر استطاعته..

وانتظر أن يبدأ المحقق بالحديث معه، ولكنه كان يمسك بأوراق بين يديه، يتفحصها بكل اهتمام، ثم يقلبها.

ساد الصمت فترة ليست بالقصيرة، والمحقق لا يعير عادل اهتمامًا وكأنه غير موجود.

ثم وضع الأوراق على المكتب ونزع نظارته الطبية من على عينيه..

كيف حالك اليوم يا سيد عادل؟

الحمد لله بخير.

الحمد لله دومًا يا سيد عادل.

حسنًا.. أرجو أن تكون قد تذكرت ما حدث ليلة الأمس بكل تفاصيلها وبدقة، ولا تغفل عن ذكر أي شيء حتى ولو كنت تعتقد بأنه لا يستحق.

تمام، سأحاول قدر جهدي واستطاعتي يا سيدي.

هنا نظر إليه المحقق بحدة قائلًا: بل أنت قادر على ذلك وأنا متأكد من ذلك.

والآن.. اسمك وعمرك ووظيفتك؟

اسمي عادل عبدالمجيد، عمري ثمانية وثلاثون عامًا، وأعمل محاسبًا بشركة الاستيراد العالمية الخاصة.

ما اسم زوجتك وعمرها؟

وكم لكما متزوجان؟ وعدد الأطفال وأسماؤهم وأعمارهم؟

اسم زوجتي سميرة ناصر، متزوج منذ أربعة عشر عامًا.

لدينا ثلاثة أبناء: الأول اسمه موفق وعمره اثنا عشر عامًا، والثاني اسمه ميسر وعمره عشرة أعوام، والصغير اسمه منير وعمره خمسة أعوام.

سيد عادل.. كيف كانت علاقتك بزوجتك رحمها الله؟

وما شأن علاقتي بها يا سيدي؟ هذا شيء خاص لا أعتقد أن له دخلًا بالموضوع.

أجب على سؤالي فقط، فنحن من نحدد إن كان يخص القضية أما لا.. مفهوم؟

والآن أجبني.. كيف كانت علاقتك مع زوجتك وبكل صدق؟

الحمدلله، كانت علاقة جيدة تسودها المحبة والتقدير والاحترام، وكأي زوجين هناك أوقات كنا نعاني من مشاكل بسيطة سرعان ما تزول، لكن كان كل منا حريص على رضا وراحة الآخر.

أحقًا يا سيد عادل ما تقوله؟

أريد أن تذكر لي الحقيقة ولا شيء سواها، فإن ذلك يصب في مصلحتك.

سيدي ما أقوله لك الحقيقة، ولماذا أكذب عليك؟ كنت أحبها وأحترمها، كزوجتي وشريكة حياتي وأم أولادي وصديقتي وكل شيء بالدنيا يا حضرة المحقق.

حسنًا.. سنرى صدق كلامك الآن.

يا شرطي.. أدخل المدعوة السيدة حميدة على الفور.

أصاب عادل التوتر والقلق، لم يخطر بباله أبدًا بأن المحقق سيستدعي حميدة.

أخرج منديلًا ورقيًا من جيبه ليمسح العرق المتساقط من على جبينه.

تبسم المحقق أسعد وهو يقول: سنرى الآن مدى صحة كلامك.

السيدة حميدة إبراهيم يا سيدي.

تفضلي يا حميدة، اجلسي هنا، هات لها كوبًا من العصير البارد بسرعة.

أسرع الشرطي ليحضر ما طلبه منه المحقق.

سألها المحقق: اسمك؟ وعمرك؟ وما عملك بمنزل السيد عادل؟

أجابت بصوت منخفض: حميدة إبراهيم، عمري أربعون عامًا..

أعمل منذ عامين ونصف لدى السيد عادل حيث أقوم بالاهتمام بكل ما يتعلق ببيته من تنظيف وترتيب إلى جانب الطهي ورعاية الأبناء.

كم طفلًا لدى السيد عادل يا حميدة؟ وما أسماؤهم وأعمارهم؟

ثلاثة.. موفق اثنا عشر عامًا، وميسر عشرة أعوام، والصغير منير خمسة أعوام.

كيف هي معاملة السيد والسيدة معك؟

السيد عادل إنسان محترم وطيب، يعاملني وكأنني فرد من العائلة،

أما السيدة سميرة -رحمها الله- فكانت عصبية لا يعجبها شيء أبدًا مهما حاولت معها..

كنت أشعر بالخوف منها حينما يعلو صوتها، ولكنها تعود وتهدأ وتعتذر مني..

ولكن طبيعتها تغلبها دومًا، تجعلها لا تتوقف عن الانتقاد، وعدم الرضا إطلاقًا عن أي شيء أقوم به أيًا كان..

ومع الوقت تعودت عليها وعلى طباعها فلم تعد تؤثر بي تصرفاتها.

جميل يا حميدة، وكيف كانت تتعامل مع السيد عادل؟

تنحنحت ونظرت باتجاه عادل وهي مرتبكة.

قال لها المحقق: تكلمي يا حميدة وانظري لي فقط.

كيف كانت علاقة السيدة سميرة بزوجها؟ وهل كانت تعامله بنفس الطريقة التي تعاملك بها؟

أجابته: أنا لا أعلم ما يدور بينهما يا سيدي، لأنني أكون غالب الوقت بالمطبخ مشغولة بعملي..

ولكني كنت أسمع دومًا صراخهما معًا ولا أفهم ما الذي يحصل أو ما هو سبب خلافهما.

هل يحدث ذلك يوميًا أم ماذا؟

نعم يا سيدي يوميًا، فلا يكاد يمر يوم دون أن أسمع صوت السيدة وهي تصيح على السيد عادل..

وأتذكر قبل يومين وقع بينهما خلاف كبير وعلا صوتهما، لا أعلم ما كانا يقولان لبعضهما البعض، ولكن صوتهما كان عاليًا جدًا وسمعت صوت الصغار يبكون، وحين وصلت لهم لأعلم سبب بكائهم، وجدت السيدة سميرة على الأرض، تضع يدها على خدها والخوف والرعب يبدوان من عينيها، لقد صفعها السيد عادل بقوة على وجهها.

وهل رأيته حين قام بصفعها؟

لا يا سيدي، بل ابنها الصغير منير أخبرني بذلك.

سألته لماذا تبكي يا حبيبي؟ لقد كنت أحبه بالفعل كأنه ابني، قال لي وهو يشهق بالبكاء: والدي صفع أمي بقوة على وجهها فسقطت على الأرض.

هدأت من روعه، ثم طلبت منه ومن أخويه العودة إلى غرفهم، فقد رأيت بأن ذلك أفضل لهم.

صفعها على وجهها وسقطت على الأرض.. عجيب جدًا ما قلته يا حميدة!

فما فهمته من السيد عادل أنه لا توجد بينهما إلا خلافات بسيطة.

هل سمعت يا سيد عادل؟ هل ما زلت عند رأيك بشأن علاقتكما؟

وحين هم عادل بالرد أسكته المحقق بإشارة من يده.

ثم توجه بحديثه إلى حميدة قائلًا لها: أريدك الآن أن تحدثيني عن يوم الحادث بالتفصيل وعدم نسيان أي شيء ولو كان صغيرًا.

تململت حميدة وارتعشت أطرافها وهي تجيب: صحوت باكرًا كعادتي كل يوم حوالي الساعة السابعة صباحًا..

توجهت من غرفتي إلى غرفة المطبخ لأجهز طعام الإفطار للصغار وأرى ما يصلح تجهيزه لوجبة الغداء..

وجلست بعدها على طاولة المطبخ لأتناول كوبًا من الشاي، سمعت طرقًا على باب المطبخ الخارجي، فتحته، كان هناك الحارس عبده أحضر لنا مشتريات من البقالة طلبتها منه السيدة.

سألها المحقق: وهل للمنزل باب آخر غير الباب الرئيسي؟

أجابته: نعم، باب خاص للطوارئ يوصل مباشرة إلى المطبخ يستعمله الحارس عبده فقط، حيث يوصل لنا الطلبات التي تأمره سيدتي بإحضارها، وكذلك التخلص من أكياس القمامة ورميها خارج المبنى في الأماكن المخصصة لها، وتنظيف السلم وتعقيمه يوميًا وخاصة أمام باب المنزل الأمامي والخلفي.

حسنًا يا حميدة أكملي..

بعد أن أحضر الحارس عبده الطلبات، أمرته بوضعها على الطاولة والانصراف بسرعة قبل قدوم السيدة، لأنها لا تسمح له بالتواجد داخل المطبخ..

وبينما كنت أرتب تلك الأغراض إذ سمعت صوت السيد والسيدة يعلو عاليًا يكاد يسمعه كل سكان العمارة، ذهبت ووقفت عند مدخل المطبخ، ولم أقترب كثيرًا حتى لا تراني السيدة فتسبب لي مشكلة أنا في غنى عنها..

ونظرت بحذر فرأيت السيد واقفًا أمامها يصرخ بوجهها وهي أيضًا، وموفق يركض خوفًا إلى غرفته.

حسنًا.. تابعي يا حميدة ولا تتوقفي فضلًا.

عدت إلى المطبخ خوفًا، فقد استمر صوتاهما عاليًا لفترة ليست بالقصيرة ثم ساد الهدوء.

بعدها صعد السيد عادل إلى منزل والديه، أبلغتني بذلك سعاد التي تعمل لديهما حينما اتصلت بها لأسأل عنه، غاب هناك فترة ثم عاد..

لم أعرف الوقت حينها لأنني كنت مشغولة بإعداد طعام الغداء..

ولكني سمعت صوت السيدة قبل صلاة الظهر تتحدث مع السيد عادل، لم أركز ما الذي كانا يقولانه.

اقتربت من باب المطبخ، كانت السيدة سميرة قد غادرت المنزل، وسمعت صوت السيد عادل عاليًا، اقتربت من الباب، وتعجبت.. مع من كان يتحدث؟!

اقتربت أكثر وبحذر، فوجدته يتحدث مع نفسه ويقول.... (صمتت).

قال لها المحقق: ماذا كان يقول؟ تكلمي.

كان يقول: لا بد من التخلص منها، إما بالطلاق أو غيره فلم يعد باستطاعته تحملها بعد ذلك ولو يومًا آخر.

هكذا إذًا!!... أجابها المحقق.

هل استقبل أو زار السيد عادل أحد خلال فترة غياب السيدة؟

لا، لم يزره أحد، فقد قضى الوقت أمام التلفاز نائمًا، حتى أنني وضعت طعام الغداء أمامه ولم ينتبه له.

هل كان نائمًا حين عادت السيدة من الخارج؟

نعم، كان نائمًا، ولكن هناك أمر ما يا سيدي تذكرته الآن.

ماذا هناك؟ تكلمي يا حميدة، فكل شيء مهم.

لقد تذكرت الآن، لقد رن جرس الباب حوالي الساعة التاسعة مساءً قبل وصول السيدة بحوالي ساعة أو أكثر.

ومن كان القادم بذلك الوقت المتأخر؟

لقد كانت السيدة أميرة أخت السيد عادل.

هنا قام عادل من مكانه وهو في حالة صدمة مما سمعه منها وقال بغضب: ماذا؟! ما الذي تقولينه؟!

أنا لم أرَ أختي تدخل البيت، كيف تقولين ذلك؟! هل جننت؟!

اجلس مكانك يا سيد عادل ولا تتدخل بسير التحقيق.. مفهوم؟

اجلس هيا ولا تتحدث إلا حينما أوجه إليك الكلام.

أكملي يا حميدة، ما الذي كانت تريده السيدة أميرة؟

جاءت تسأل عن السيدة سميرة فقلت لها بأنها لم تعد بعد، وعن السيد عادل فأبلغتها بأنه نائم على الأريكة التي بغرفة الجلوس.

أجابتني حسنًا، ودخلت البيت ولم أعترض فلا شأن لي بذلك.

ألم تري إلى أين ذهبت؟

لا يا سيدي، فهو شيء لا يخصني، المنزل هو بيت أخيها تستطيع القدوم وقتما تشاء.

وهل رأيتها تغادر المنزل قبل حضور السيدة سميرة؟

لا، لم أرها، وبالحقيقة ربما تكون غادرت ولم أنتبه لأنني ذهبت إلى غرفتي بعد قدومها.

حسنًا، وأين كنت حينما عادت السيدة؟

كنت بغرفتي أحاول الخلود للنوم، فلم أر السيدة سميرة بعدها، ثم صحوت على صوت رجال الإسعاف والشرطة حينما حضروا إلى المنزل، قمت فزعة من النوم لم أفهم ما الذي يحدث بالخارج.

ثم بعد حوالي نصف ساعة جاء الدكتور عماد يطلب مني مرافقة أبناء السيد عادل واصطحابهم بهدوء إلى شقته، حيث استقبلتنا زوجته السيدة خلود بكل ترحيب، وهي تحاول أن تشغل الصغار عن الأمر..

ثم طلبت مني البقاء معهم بغرفة النوم الخاصة بالضيوف.

هذا كل ما حصل يا سيدي، بعدها نمت من شدة التعب والإجهاد والبكاء كلما نظرت إلى صغارها حزنًا وألمًا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حسنًا يا حميدة.. شكرًا لك.

والآن وقعي على أقوالك عند المحقق حسن.

قامت حميدة ووقعت على محضر التحقيق، ثم سألت المحقق أسعد: هل أستطيع الانصراف؟

نعم يا حميدة، ولكن أرجو منك البقاء بمقر إقامتك المذكور هنا، فربما نحتاج إليك.

شكرًا لك.

خرجت حميدة على عجل تتلفت حولها وتحاول كل جهدها أن تتجنب النظر باتجاه عادل.

والآن يا سيد عادل، ما رأيك فيما ذكرته الأخت حميدة؟

أطرق عادل برأسه ولم يستطع الإجابة على سؤال المحقق.

حينها كرر المحقق السؤال: ما رأيك يا سيد عادل فيما ذكرته الأخت حميدة؟ وتذكر بأن كل كلمة ستقولها تسجل هنا بمحضر التحقيق.

وأنا أفضل دومًا كتابة الحقائق فقط لا غير، وإن خطر ببالك بأن باستطاعتك قلب الحقيقة ومحاولة الإفادة بغيرها، فسيكون الأمر في غير صالحك تمامًا..

لقد حذرتك منذ البداية ولكنك استخففت بي.

ولكن يا حضرة المحقق أنا لم أستخف بك، الخلافات الأسرية في كل بيت وبين كل زوجين، وقد قلت لك بأننا نكن لبعضنا البعض كل الحب والاحترام رغم خلافاتنا، وبعدها تعود الأمور بيننا إلى طبيعتها.. صدقني.

هذا يعني بأنك تنكر كل ما قالته لنا حميدة.. هل هذا صحيح؟

سيدي قلت لك خلافاتنا لا تؤثر ولم تؤثر علينا.

سيد عادل.. أجب نعم أو لا، هل ما ذكرته المدعوة حميدة صحيح؟ نعم أم لا؟

أطرق عادل برأسه وأعجزته الحيلة عن الإجابة فظل صامتًا.

حتى أعاد المحقق السؤال مرة أخرى ولكن هذه المرة بصوت واضح وحاد: هل ما قالته السيدة حميدة صحيح يا سيد عادل؟ نعم أم لا؟

أجاب عادل قائلًا: نعم.

سيد عادل.. بناء على ما سبق، وعلى ما جاء به تقرير المعمل الجنائي وكذلك الطب الشرعي بوجود بصماتك

على رقبة المغدورة السيدة سميرة ناصر، وكونك الوحيد الذي كنت متواجدًا بالقرب من جثتها..

أنت متهم بقتل زوجتك خنقًا حتى الموت، وستبقى بالتوقيف حتى يتم الانتهاء من التحقيق، وعليه أوقع... أنا المحقق أسعد أحمد، ومعي المحقق حسن عبدالجواد.

انهار عادل حينما سمع المحقق يصدر حكمه..

وقال له مترجيًا: والله أنا لم أفعلها يا سيدي، صدقني أرجوك، استمع إلي، لا بد أن أعود لبيتي، أبنائي بحاجة إلي، أقسم لك بأنني لست الجاني، لست الجاني.

لم يجبه المحقق، بل نادى على الشرطي الواقف بالباب وأمره باصطحاب عادل إلى غرفة التوقيف والحجز ووضعه هناك على ذمة القضية حتى إشعار آخر.

خرج عادل بصحبة الشرطي الذي وضع حول معصميه القيود الحديدية، وحين رآه أخواه عماد وفؤاد قاما من مكانيهما وهما في حالة ذهول، أقبلا عليه وحاولا التحدث معه، ولكن الشرطي منعهما، قائلًا لهما: عذرًا منكما، ولكن ممنوع التحدث مع المتهم نهائيًا.

صاح عماد به: متهم! من هو هذا المتهم؟! أخي بريء، كيف جعلتموه متهمًا؟!

ذلك ليس من شأني، أنا أنفذ ما أمرني به المحقق أسعد... أجابه الشرطي.

أخي عماد، لم أفعل شيئًا أقسم لكم، أرجوكم ساعدوني، أخرجوني من هنا، أبنائي ليس لهم بعد الله غيري.

أجابه عماد وهو يرى الشرطي يأخذه بعيدًا عنهما وقلبه يكاد ينفجر لرؤية أخيه في مثل هذا الوضع:

لا تقلق يا عادل لن ندعك، نحن كلنا معك وسنفعل المستحيل لإطلاق سراحك يا أخي.

غاب عادل عن مدى رؤيتهما، ونظر كل منهما بأسى للآخر وشعور بالحزن والأسى يسيطر عليهما.

قال عماد لأخيه فؤاد: بماذا سنخبر أبي وأمي؟! بل ماذا سنقول لأبنائه عن غيابه هكذا؟!

رد عليه فؤاد: لديّ صديق محامٍ متمرس وله باع طويل في مثل هذه القضايا، سأتصل به حالًا لأستشيره في قضية عادل.

وحينما هم بالاتصال به جاء صوت الشرطي ينادي على أخيه عماد بالمثول أمام المحقق على الفور.

جلس عماد أمام المحقق محاولًا الثبات وأن يبدو عليه الهدوء وعدم المبالاة.

تفحصه المحقق أسعد متأملًا في تعابير وجهه دون أن يوجه له الحديث.

تململ عماد في مقعده وهو يتساءل بينه وبين نفسه: لمَ كل هذا الصمت؟! فهو لم يرتكب أي ذنب حتى ينظر إليه بتلك الطريقة التي جعلته يشك بكونه مشاركًا بتلك الجريمة البشعة!

أخيرًا سمع صوت المحقق يبادره بالسؤال: اسمك، عمرك، عملك، حالتك الاجتماعية، عدد الأطفال وأسماؤهم؟

اسمي عماد عبدالمجيد، العمر ستة وثلاثون عامًا، وأعمل طبيب باطنة عام بمستشفى الصحة الخاص.

متزوج منذ عشرة أعوام ولديّ بنتان، الأولى سلوى تسعة أعوام، والصغيرة منى ستة أعوام.

أين كنت يوم وقوع الجريمة، تحديدًا من الساعة التاسعة إلى الساعة العاشرة مساء؟

كنت من بداية اليوم بالمستشفى، ولم أعد إلى البيت لوجودي بغرفة الطوارئ..

انتهى دوامي قبل العاشرة بقليل وعدت للبيت، ركنت سيارتي بالموقف الخاص بها.

لاحظت بأن زوجة أخي عادل تتوجه للمصعد التابع للمبنى الذي نسكن به جميعًا، فانتظرت بالسيارة حوالي خمس دقائق ثم صعدت إلى منزلي.

ولماذا لم تستخدم المصعد مع السيدة سميرة؟... سأله المحقق.

كنت مجهدًا ومتعبًا بعد دوام طويل، كان هناك العديد من المرضى بغرفة الطوارئ، رجال ونساء وأطفال مصابون بأعراض مشابهة لفايروس الحمى الصفراء، ولا بد من التأكد من سلامتهم وخلوهم أو إصابتهم به، ولم أنتهِ إلا وقد استنفدوا طاقتي وجهدي، ولما رأيتها تصعد به، تجنبت التواجد معها..

لم يكن وضعي النفسي حينها يتحمل سماع المزيد من الشكاوى والتذمر.

هل كانت السيدة سميرة من ذلك النوع يا دكتور عماد؟ أعني الذي يتحدث عن مشاكله وحياته الخاصة؟

نعم، كلما جمعني بها المصعد أبادرها بالسلام وكيف الحال، أقولها لها فقط مجاملة؛ كونها زوجة أخي الأكبر مني واحترامًا له..

وكثيرًا من الأوقات كانت تجعلني أشعر بالندم لمجرد السؤال عن الحال..

فحينها يا سيدي المحقق يبدأ سيل من الحكايا لا يتوقف، ورغم أني أسكن معها بنفس الدور، إلا أنني كنت أتمنى لو كنت أعيش بالدور الأول حتى أستطيع الهروب منها ومن قصصها التي لا تنتهي..

لهذا السبب لم أدخل معها المصعد ذلك اليوم، فرأسي كان فيه ما يكفيه.

حسنًا يا دكتور عماد.. أكمل ماذا بعد أن صعدت لمنزلك؟

وصلت البيت، كانت الساعة تشير تقريبًا إلى العاشرة، ألقيت بحقيبتي ومفاتيحي على الطاولة المتواجدة عند مدخل البيت، واستلقيت على أول مقعد محاولًا التقاط أنفاسي والتمتع ولو بقليل من الراحة.

أغمضت عيني وغفوت قليلًا، لا أعلم كم مر من الوقت، سمعت صوت هاتفي المحمول، قمت لأرى من المتصل وأنا أرجو ألا يكون اتصالًا من المستشفى، فحالة التعب التي كنت عليها لم تكن تسمح لي بالعودة مرة ثانية.

نظرت لرقم المتصل وجدته أخي عادل، أجبت عليه.

سرعان ما قمت من مكاني على الفور، فصوته كان مرعوبًا وهو يتحدث بارتباك، لم أفهم ما كان يقوله فصوت لهاثه أعلى منه..

حاولت تهدئته، طالبًا منه التحدث بوضوح..

ولكنه صمت فجأة، ناديت عليه بأعلى صوتي فلم يجبني، أقبلت زوجتي مرعوبة مستفسرة عند سماعها لصوتي..

أمرتها بالبقاء مكانها حتى أذهب وأرى ما الذي حل بأخي.

أخذت معي حقيبتي الطبية احترازًا، وكل تفكيري بأن هناك خطبًا ما بعادل أو بزوجته وبحاجة لمساعدتي كطبيب.

توجهت لشقة أخي، فكما سبق وذكرت لكم بأننا نعيش بنفس الدور، وشقته مقابلة لشقتي.

حين وصلت إلى بابه وجدته مفتوحًا، وتعجبت من رؤيته هكذا، دخلت إلى البيت، كان الظلام يعم أرجاءه، فأضأت أول مقبس للنور وقعت يدي عليه.

توجهت مباشرة إلى غرفة النوم الخاصة بأخي وأنا أنادي باسمه، لم أجد استجابة لندائي..

بدأت أشعر ببرودة ورجفة تمسك بأطرافي لا أعلم لها سببًا..

وحين دخلت إلى الغرفة وجدت أخي ملقى على الأرض..

وزوجته كانت داخل غرفة الملابس وقد بدا لي بأنها فارقت الحياة، حاولت القيام بالإنعاش الرئوي لها ولم يُجد معها نفعًا.

سيدي المحقق.. أنا من خلال عملي كطبيب أشاهد وأتعايش مع المرضى وأشعر بالأسى والحزن لوفاة مريض أمام عيني وهو غريب عني، لا يربطني به شيء سوى اسمه ورقمه في ملفه الخاص.. فكيف بقريب مني، عشت معه، رأيته يسير أمامي صحيحًا معافى قبلها؟!

غُصّ صوته وحاول التماسك والعودة للحديث من جديد.

أشار له المحقق بيده أن تابع.

أكمل كلامه قائلًا: وحينما وجدت بأنه للأسف لا فائدة تجدي مع زوجة أخي، قمت بالاتصال بالإسعاف أولًا ثم بالشرطة.

عدت إلى أخي أحاول إفاقته، وحمدت الله حين وجدته يتنفس.

انتظرت حتى وصل المسعفون، حملوه خارج الغرفة ووضعوه على الأريكة حيث قاموا بالإسعافات الأولية.

وطلبوا مني عدم الاقتراب من زوجته إلا عند حضور الشرطة، حيث أبلغوني بأنها ماتت نتيجة الخنق..

هذا كل ما حصل وبكل دقة يا سيدي المحقق.

حسنًا.. قبل أن أغلق المحضر سؤال يا دكتور عماد، كيف كانت علاقة زوجتك مع زوجة أخيك السيدة سميرة؟

أجابه: لم تكن بينهما علاقة جيدة، زوجتي كانت تتجنبها تمامًا، لأنها كانت من النوع الذي يبحث عن افتعال المشاكل ونقل الكلام بين الجميع..

وقد وقعت مشكلة كبيرة بين زوجتي وبينها بسبب الأطفال، ابن أخي الصغير منير كان يحب اللعب مع ابنتي الصغيرة منى، وغالبًا ما يحضر ألعابه ويلعبان سويًا..

ولكن ذات يوم غضبت ابنتي منه لأنه كسر لعبتها المفضلة، فضربته وقالت له اذهب إلى بيتك ولا تعُد هنا ثانية.. طفلة صغيرة لا يؤخذ على كلامها.

ذهب الولد باكيًا وشكا لأمه ما صار معه، خمس دقائق ووجدناها عندنا بالبيت تصيح بأعلى صوتها.

قاطعه المحقق: هل كنت متواجدًا حينها بالبيت؟

أجابه عماد: نعم، كان يوم إجازتي وكنت بغرفتي، سمعت صوتها العالي، وقفت عند الباب مستمعًا لم أحب التدخل بينهما..

فزوجتي ما شاء الله عليها، هادئة وتعرف كيف تتصرف في مثل تلك المواقف.

كنت أسمع صوتها المرتفع وتطاولها على زوجتي، وزوجتي تحاول جاهدة أن تهدئها وتعتذر لها عما بدر من ابننا، ولكنها لم تقبل اعتذارها، واستمرت بالتهجم عليها وعلى ابنتي الصغيرة..

ثم خرجت ومعها ابنها وسمعت صوت الباب وهي تغلقه وراءها بقوة..

فخرجت من غرفتي لأجد زوجتي منهارة بالبكاء، هؤنت عليها وقلت لها لا تهتمي لها عزيزتي، هي طبيعتها، إنسانة تبحث عن مشاكل.

أجابتني: أنا لا أبكي بسبب ما فعلته بل ما قالته لي.

قلت: وماذا قالت لك؟

أجابتني من بين دموعها: تعايرني بأنني أم البنات، وبأنني لن أستطيع إنجاب الولد مهما حاولت، وكأنما الأمر بيدي يا عماد.

شعرت بالغضب مما سمعته من زوجتي، ولكنني بنفس الوقت حاولت أن أخفف عنها قائلًا لها: إن البنات عندي كل شيء بالحياة، هما هدية من الله سبحانه وتعالى ونعمة كبيرة علينا، ولا يهمني على الإطلاق إن جاءني ولد أم لا.

هذا ما حصل يا سيدي المحقق، ولهذا قلت لك بأن زوجتي بعدها قاطعتها ولم تعد تحتك بها، وإن قابلتها مثلًا بمنزل والدي، تجنبت الجلوس إلى جانبها أو التحدث معها.

شكرًا لك يا دكتور عماد.. وقع فضلًا على أقوالك عند المحقق حسن.

خرج عماد وهو يشعر بالتعب والإرهاق وإحساس بالعجز عن مساعدة أخيه عادل.

وحين رآه أخوه فؤاد قال له: لقد اتصلت بصديقي المحامي عدنان وسيحضر إلى مركز الشرطة حالما ينتهي من دوامه بإذن الله.

أرجو أن يكون حضوره خيرًا وعونًا لأخي، ويستطيع إطلاق سراحه بأسرع وقت ممكن يا أخي.

السيد فؤاد عبدالمجيد.. التفت فؤاد إلى الصوت، فإذا به الشرطي الواقف أمام باب غرفة المحقق ينادي عليه.

أجابه: نعم، أنا فؤاد.

تفضل بالدخول، حضرة المحقق أسعد يريدك على الفور.

دخل فؤاد وهو يتمنى لو أن كل هذا كابوس وسيفيق منه! لكنه التفت إلى من ينادي باسمه.

كان ذلك المحقق حسن يقول له: تفضل يا سيد فؤاد بالجلوس ها هنا، مشيرًا إلى المقعد المقابل لمكتب المحقق أسعد.

جلس فؤاد وهو يلتزم الصمت والقلق يعصف به، ما الذي يريده منه المحقق؟ فقد كان غير موجود بالمنزل بل بالمدينة نفسها!

لم يغد إلا بعد فجر هذا اليوم هو وزوجته عندما علما بالخبر المفزع، يا رب هون علينا ما نمر به. قالها في نفسه خوفًا ورجاءً.

رفع المحقق أسعد عينيه متأملًا وجه فؤاد مطولًا التحديق به دون أن يوجه إليه الحديث.

ثم بادره بالسؤال: اسمك، عمرك، عملك، حالتك الاجتماعية؟

أجابه بهدوء: اسمي فؤاد عبدالمجيد، عمري أربعة وثلاثون عامًا، أعمل مهندسًا مدنيًا بشركة البناء والمعمار، وهي شركة خاصة غينت للعمل بها منذ ستة أعوام..

لكنها تقع بالمدينة، وهي تبعد عن مدينتي نحو أربع ساعات بالسيارة.

متزوج منذ خمسة أعوام وليس لديّ أبناء.

تمام يا سيد فؤاد.. وأين كنت ساعة وقوع الجريمة؟

كما سبق وأن قلت لك يا سيدي المحقق بأنني أقيم برفقة زوجتي بالمدينة، حيث وفرت لي الشركة التي

أعمل بها مسكنًا هناك، فلا أنزل لمدينتي إلا لزيارة والدي وإخوتي مرة أو مرتين بالشهر.

وكيف علمت بما حدث لزوجة أخيك السيدة سميرة؟

اتصل بي أخي الدكتور عماد وطلب مني الحضور بأقرب وقت ممكن..

فاصطحبت زوجتي بعد صلاة الفجر مباشرة ووصلت إلى هنا منذ نحو ساعة..

وجدت والدي في حالة يرثى لها وخاصة والدتي حفظها الله.

تركت زوجتي برفقتها للاهتمام بها ورافقت أخويّ عادل والدكتور عماد إلى هنا..

هذا كل ما حصل معي يا سيدي المحقق.

حسنًا يا سيد فؤاد.. أريد فقط أن تخبرني كيف كانت علاقة زوجتك مع السيدة سميرة.

للأسف علاقة غير جيدة على الإطلاق، حينما كنا نأتي لزيارة الأهل، لا بد أن تفتعل سميرة المشاكل مع زوجتي بدون سبب مقنع..

تتهجم عليها فجأة وتحاول بكل طريقة ممكنة استفزازها لتصعّد الكلام بينهما فيتدخل الجميع لحل الاشتباك.

زوجتي كانت لا تتحملها وترد عليها أولًا بأول، رغم أنني ترجيتها بأن تكون أعقل منها وتتجاهلها.

كانت زوجتي تستمع لي وتحاول جاهدة ضبط أعصابها..

إلى أن قامت بينهما مشكلة افتعلتها سميرة كالعادة، وتجاهلتها زوجتي تمامًا إلى أن قالت لها: اصمتي أيتها العاقر، ألا تخجلين من نفسك؟ فأنت عاجزة عن منح زوجك طفلًا يحمل اسمه..

سرعان ما سيمل منك ويستبدلك بالودود الولود، من حقه أن يكون له أبناء من صلبه أيتها العقيم.

حينها لم تستطع زوجتي السكوت على تلك الأقوال الفظيعة وردت عليها قائلة لها: الحمدلله، لم يرزقني الولد وعوضني بالزوج المحب الحنون..

على الأقل لا أحد يسمع صوت شجارنا يوميًا، وخاصة صوتك الذي يشبه صوت شاحنة القمامة، تلفظ كل قذارة على كل من تمر بهم.

وكاد يحصل اشتباك بالأيادي، لولا اتصال أمي بي وبأخي عادل حيث حضرنا بسرعة فقد كنا مجتمعين لدى والدي نتناول طعام الغداء.

هل سمعت ما دار بينهما؟

لا، بل أخبرتني أمي بكل التفاصيل وقلت لها من بدأ المشكلة؟

أجابتني بشيء جعلني أضحك وقتها، قالت: هذه إجابة يا بني وليست بسؤال، تعني بأنه معروف مسبقًا من المتسبب بالمشاكل.

تبسم المحقق ضاحكًا مما قاله فؤاد وأجابه: هذا يجعلني في حيرة من أمري حقًا، فمن الواضح أن السيدة سميرة -رحمها الله- اكتسبت الكثير من العداوة وأيضًا الكثير من الكارهين لها!

هل لديك أقوال أخرى يا سيد فؤاد؟

لا يا سيدي...

حسنًا.. وقع على أقوالك عند المحقق حسن.

كما أريد منك إبلاغ جميع أفراد العائلة بأننا سنقوم بأخذ أقوالهم صباح الغد بتمام الساعة العاشرة..

وأفضل أن يتم ذلك بمنزلكم، حيث سأقوم بجولة مرة أخرى لتفحص مكان الجريمة.

وبعدها أريد من جميع من يسكن بالمبنى التواجد بمكان واحد وعدم تغيب أي منهم، وذلك حتى يتم استجوابهم فردًا فردًا.

نعم يا سيدي المحقق، لك ذلك، والآن أستأذنك بالانصراف.

نراك بالغد إن شاء الله.

خرج فؤاد مسرعًا من مكتب المحقق أسعد الذي تبادل النظرات مع المحقق حسن.

حينها بادره المحقق حسن بالسؤال حالما أغلق فؤاد الباب من ورائه:

ما رأيك يا أسعد؟ هل توصلت إلى شيء جديد أو إلى متهم آخر غير عادل زوج الضحية؟

نعم، أعتقد بأن هناك شخصًا ساعد عادل في ارتكاب الجريمة وإتمامها حتى يبعد الشبهات عنه، وسنعلم من هو قريبًا، بل وقريبًا جدًا.

تساءل المحقق حسن في حيرة: ما الذي تتوقعه إذن؟ أفهم مما تقوله بأن هناك شريكًا لعادل بالجريمة؟

بالفعل، وسيظهر للعلن حينما يشتد الضغط عليه، وحينها سيقع في أيدينا..

فقط علينا الانتظار، فعندما ينتابه الخوف والارتباك، سيرتكب حماقة تؤدي بنا للقبض عليه على الفور.

هناك بغرفة التوقيف، جلس عادل ينظر حوله يريد التأكد من أن ما يراه ليس كابوسًا يطبق على صدره، وتلك العتمة التي تحيط به ليست سوى من وحي خياله، يهز رأسه لعله يفيق منها!

لكن مع الأسف كان كل شيء واقعًا.. وواقعًا مريرًا.

ها هو، ما بين أربعة جدران قاتمة، تفوح منها رائحة الرطوبة، وجوه غريبة، عيونها تطيل التحديق به.

وضع رأسه المتعب بين كفيه وهو يكاد يشعر بالجنون، ماذا هناك؟! كيف هذا؟!

زوجته أم أبنائه قتيلة، والقاتل مجهول حر طليق، فر بفعلته، ومتهم بريء محروم من رؤية أحبائه!

لماذا لا تغادره تلك الحرارة التي تشتعل برأسه مسببة له ذلك الصداع المؤلم؟!

تمدد على فرشة صغيرة على أرض الغرفة محاولًا الاسترخاء والراحة.. ومن أين ستأتي تلك الراحة؟!

حياته كلها تغيرت بالكامل، لا يعلم ما السبب، هل يضع اللوم على شركته التي استغنت عن خدماته، أم من تسبب في خسارتها مع الكثير من الشركات الأخرى واهتزاز وضعها الاقتصادي؟!

الحمى ما هذه الحمى يا ألله ساعدني رأسه يكاد ينفجر، ولسانه يلهج بالدعاء.. يارب ساعدني على تخطي هذه الأزمة التي طحنتني طحنًا.

وأغمض عينيه ودخل في سبات عميق ولم يعد يشعر بأي شيء من حوله.

استعد المحقق أسعد للذهاب إلى منزل السيد عبدالمجيد والد المتهم عادل لاستكمال التحقيق مع باقي أفراد أسرته.

نظر إلى ساعته، ما زال الوقت مبكرًا، فالساعة تقترب من التاسعة صباحًا.

جلس أمام مكتبه لتناول كوب من القهوة، ممسكًا بمجموعة من الأوراق بها المحضر الرسمي لأقوال كل من المتهم عادل وأخويه..

مراجعًا لكل جملة وكل سطر وكل كلمة، لربما فاته شيء مهم لم ينتبه له في حينها.

رفع سماعة الهاتف وطلب تجهيز سيارة الشرطة لتقله إلى المكان المنشود.

ثم عاد إلى التأمل بالأوراق وارتشاف القليل من قهوته.

بينما هو في تلك الحال من الهدوء والسكينة، دخل عليه المحقق حسن مسرعًا حتى وقف أمامه قائلًا له وهو يكاد لا يلتقط أنفاسه: لقد أصبت بظنك وتوقعاتك يا حضرة المحقق.

ماذا هناك يا حسن؟! ما بك؟! وما الذي حدث؟!

لقد اتصلت عائلة عادل بمركز الشرطة الآن لتبلغنا عن وقوع جريمة قتل أخرى وبنفس الطريقة.

قام المحقق أسعد من مكانه على الفور وهو يسأل: ومن الضحية هذه المرة؟!

شابة تعمل لدى والد عادل اسمها سعاد وجدوها بغرفة المطبخ ملقاة على الأرض.

إذن هيا بنا لفحص موقع الجريمة بأنفسنا.

حاول الاتصال بهم لتنبيههم والتأكيد عليهم بعدم الاقتراب نهائيًا من المكان.

لا تقلق فقد أرسلت دورية من الشرطة للوقوف والاطلاع على الموقع حتى حضورنا.

جيد، فلنسرع إلى هناك دونما أي تأخير، هيا تعالَ معي.

وأسرعا بالخروج من المكتب.

بمنزل السيد عبدالمجيد والذي يقع بالدور الثالث من المبنى..

دخل كل من المحقق أسعد وحسن يرافقهما رجلان من رجال شرطة البحث الجنائي من الباب الخلفي للمبنى ومنه مباشرة إلى غرفة المطبخ..

أرشداهما إلى المكان الذي وجدت به القتيلة، لبس المحقق أسعد قفازًا بيديه واقترب منها ببطء، محاولًا قدر جهده ألا يلمس شيئًا، فرجال شرطة البحث الجنائي كانوا يجمعون الأدلة في حقيبة خاصة، حتى يتم إرسالها للمختبر والمعمل الجنائي لفحصها بدقة.

نظر إلى وجه المغدورة، والذي تحول إلى اللون الأزرق مع جحوظ وبروز عينيها.

جال ببصره حولها، كان من الواضح بأن هناك صراعًا، وبأن المجني عليها قاومت القاتل بكل قوتها، ولكنه استطاع السيطرة عليها والتمكن منها وخنقها..

اتجاه يديها نحو عنقها يدل على ذلك.

أمسك المحقق أسعد بيدها ورفعها وأخذ عينة من تحت أظافرها، أعطاها للمحقق حسن وطلب منه رفع الجثة قليلًا، وجد تحت جسدها هاتفها المحمول، تناوله بكل حرص وقلبه بين يديه، ووضعه بكيس شفاف خاص سلمه لرجل شرطة البحث الجنائي.

تجول بالمطبخ متفحصًا كل زاوية به، اقترب من الثلاجة التي تُرك بابها مفتوحًا على اتساعه.

سأل رجل البحث الجنائي عن السبب، قال له بأنهم وجدوه هكذا حين حضورهم للمكان.

هل تم رفع البصمات عنها؟

أجابه: نعم، والآن نقوم برفع جميع البصمات من الغرفة نفسها.

حسنًا.. أريد منكم بعد الانتهاء من هنا، الحرص على رفع بصمات جميع السكان، ما عدا الأطفال، الرجاء عدم

إزعاجهم، وأنا لي طريقتي بالتفاهم معهم.

اقترب أسعد من الباب الخاص بالمطبخ، فتحه بهدوء متأملًا به، فقد لفت انتباهه منذ أن دخل منه أول مرة.

أطال النظر إليه جيئة وذهابًا، حتى وجد عند عتبة الباب آثار حذاء علق به طين لزج، أشار بيده للمحقق حسن، الذي تفحص المكان، ثم طلب من رجل الشرطة الجنائية أن يأخذ له صورة ويجمع الأثر بالحقيبة الخاصة بالأدلة.

نظر المحقق أسعد إلى السلم المؤدي إلى باب المطبخ..

ثم أمر المحقق حسن باللحاق به.

نزلا سويًا السلم وهما يتفحصانه درجة درجة، حتى انتهيا إلى الباب الخارجي للمبنى.

على يمينه ويساره هناك غرفتان صغيرتان يطل بابهما على مدخل المبنى، بحيث لا بد أن يمر بهما كل من يدخل إلى الباب الرئيسي له.

تجولا مطولًا أمام المدخل، حتى وقع نظر المحقق أسعد على آثار أقدام تشابه تلك التي رآها أمام باب المطبخ الخارجي متجهة إلى الغرفة الأولى والتي تقع على يمين المبنى، أشار المحقق أسعد بهدوء إلى المحقق حسن بالطرق على الباب.

فتح باب الغرفة الحارس عبده، وتفاجأ لرؤيتهما، فتراجع إلى الخلف خوفًا منهما.

طلب منه المحقق حسن الجلوس والاستماع للمحقق أسعد جيدًا.

أنت حارس المبنى.. أليس كذلك؟

نعم يا سيدي.

أين كنت وقت وقوع الجريمة، أي ما بين السادسة والنصف والسابعة والنصف صباحًا؟

كنت بغرفتي أستعد لبدء عملي اليومي.

وما هو ذاك العمل؟

أبدأ بتنظيف وكنس ومسح سلم المبنى، ثم الذهاب مع السائق صبري لإحضار الطلبات التي تحتاجها الأسرة.

وهل هناك من يشهد على تواجدك بغرفتك وقتها؟

صمت عبده ولم يستطع الإجابة على سؤال المحقق.

سألتك يا سيد عبده: هل هناك من يشهد على وجودك بغرفتك؟

لا يا سيدي، ولكن السيد عبدالمجيد مر بي حوالي الساعة السابعة أو السابعة والنصف صباحًا، لا أتذكر الوقت بالضبط، وطرق الباب متسائلًا عن عدم استيقاظي لصلاة الفجر وعن كون الباب الرئيسي للمبنى مفتوحًا بمثل هذا الوقت المبكر.

بماذا أجبته؟

قلت له بأنني كنت مستغرقًا في النوم فلم أسمع أو أرَ أحدًا.

حسنًا يا عبده.. أين حذاؤك الذي ارتديته لهذا اليوم؟

تلعثم حينها عبده وتمتم بكلمات غير مفهومة وهو يتابع المحقق حسن يخرج حذاءً تلطخ بالوحل من أسفل

سريره.

هل هذا هو الحذاء يا عبده؟

نعم يا سيدي هذا هو حذائي، لكني لم أرتده اليوم.. صدقني.

ولماذا هو ملطخ بالطين إن لم ترتده.

لا علم لي يا سيدي، أقسم لك، لا علم لي أبدًا.

حسنًا، متى كانت آخر مرة رأيت السيدة سعاد؟

أمس، الساعة الثامنة مساء، حيث أحضرت للسيدة الكبيرة أم عادل ما طلبته مني من السوبر ماركت.

هل استخدمت الباب الرئيسي للشقة أم الباب الخلفي؟

الباب الخلفي يا سيدي.

وأين كنت ليلة مقتل السيدة سميرة؟

بغرفتي، فقد تلقيت اتصالًا من زوجتي، حيث تحدثني يوميًا في مثل هذا الوقت، فهي تعلم جيدًا بأنها فترة راحتي من العمل.

كم من الوقت أخذت منك المحادثة؟

حوالي نصف ساعة إلى ساعة، لا أتذكر تمامًا يا سيدي.

حسنًا يا عبده.. أين هاتفك المحمول؟

ها هو يا سيدي بيدي.

فضلًا أعطه للمحقق حسن، ورجاء لا تتحرك من غرفتك حتى ننتهي من التحقيق مع باقي أفراد الأسرة.. مفهوم؟

مفهوم يا سيدي.

عفوًا.. من يشغل الغرفة الأخرى التي على يسار المبنى؟

السائق صبري يا سيدي.

حسنًا.. تذكر ما قلته لك، لا تخرج من غرفتك حتى أعود إليك ثانية.

نعم يا سيدي.. مفهوم.

هيا بنا إذن يا حضرة المحقق حسن، لنصعد إلى مقر العائلة على الفور، فأنا أريد استجوابهم فردًا فردًا.

وبينما هما يستقلان المصعد الخاص سأله المحقق حسن: ماذا عن السائق صبري؟ ألن تستجوبه أولًا؟

تبسم المحقق أسعد قائلًا: دعه قليلًا، فلي غاية في تركه آخر من سأقوم بالتحقيق معه.

ما هي؟

ستعلم فيما بعد، بل سترى..

قريبًا سيتضح كل شيء أمامنا وضوح الشمس..

لا داعي للعجلة، فكما سبق وقلت لك بأن من ارتكب الجريمتين شخص واحد وله شريك يتحرك بحرية..

لكنها حرية مؤقتة، فقد بدأ يضع خيوط اللعبة بين أيدينا واحدًا تلو الآخر.

أجابه المحقق حسن: ليتني أعلم ماذا يدور برأسك، وما الذي تفكر به بالضبط! تفكيرك سابق لوقته، لا يسعني سوى الإعجاب به والتعلم منك يا سيدي.

تبسم المحقق أسعد قائلًا له: فقط حاول التركيز على الأشياء الصغيرة التي قد لا تعني لك شيئًا على الإطلاق..

ولكن كلما تعمقت بها وربطت بينها وبين الجريمة نفسها، حينئذ تأكد بأنك ستكتشف ما لم يكن يخطر على بالك.

دخلا إلى السكن الخاص بالسيد عبدالمجيد والذي كان يختلف عن باقي الشقق في اتساعه ومساحته الكبيرة، يبدو لك من أول وهلة بأنك تدخل إلى حديقة غناء، العشب الأخضر يمتد لمساحات واسعة، وعلى جنباته زُرعت الورود بكافة ألوانها الجميلة والمريحة للعين، وكذلك شتلات النعناع الأخضر والريحان والتي تفوح رائحتها الزكية والجميلة لتنعش المكان بأكمله.

يزين مدخل البيت شجرتان كبيرتان، تلقيان بظلهما عليه؛ لتشعرك وكأنك تمر في غابة وارفة الخضار.

كان في استقبالهما شيخ كبير بالعمر، تسود ملامحه الهيبة والوسامة رغم تقدمه بالعمر.

رحب بهما ودعاهما للجلوس بغرفة المكتب الخاص به.

تقدمهما بالسير إليه، ثم فتح الباب قائلًا لهما: هنا ستكونان على راحتيكما بعيدًا عن أي إزعاج.

قال له المحقق أسعد: شكرًا لك يا سيد عبدالمجيد..

تفضل بالجلوس فأنا بحاجة للتحدث معك أولًا.

وأشار للمحقق حسن بفتح محضر التحقيق والبدء بكتابة وتسجيل الحديث.

اسمك وعمرك، وسنكتفي بذلك يا حضرة المحقق حسن.

عبدالمجيد عادل عبدالمجيد، عمري اثنان وستون عامًا.

حسنًا يا سيد عبدالمجيد.. أريدك أن تذكر لي وبالتفصيل كيف اكتشفتم مقتل السيدة سعاد، ومن أول شخص رآها؟

سيدي المحقق.. سعاد هي كالابنة بالنسبة لنا وليست عاملة تعمل لدينا، تهتم بي أنا وزوجتي أم عادل وكأننا والداها.

واغرورقت عيناه بالدموع، قام المحقق أسعد من مكانه وأقبل على الشيخ عبدالمجيد يربت على كتفه مواسيًا له وهو يقول: ولهذا يا سيد عبدالمجيد لا بد من معرفة من الذي ارتكب بحقها هذا الجرم الفظيع، وتقديمه للعدالة بأقرب وقت، ولن يتم هذا إلا بتعاونكم جميعًا معنا لإظهار الحقيقة والقبض على المجرم.

حسنًا يا سيدي المحقق... أجابه عبدالمجيد.

استيقظت اليوم كعادتي عند أذان الفجر، توضأت وجلست بغرفة المكتب لأداء صلاة الفجر، كانت الساعة تشارف على الرابعة والنصف فجرًا.

جلست بمكتبي أتلو بعضًا من آيات القرآن الكريم، حتى شارفت الساعة على السادسة والنصف، وكما تعلم أن حظر التجول ينتهي حوالي الساعة السادسة صباحًا.

تعودتُ أن أذهب إلى محل الفوال الذي يقع قريبًا من البيت لأشتري منه طعام الإفطار لي ولزوجتي، ورغم وجود السائق، إلا أنني أفضل القيام بذلك بنفسي، ومنها أمارس رياضة المشي فتلك عادة لا أتخلى عنها أبدًا.

عند عودتي حوالي الساعة السابعة والنصف تقريبًا أو قبلها بقليل، عادة ما أستخدم المصعد الخاص لشقتي، لاحظت شيئًا لفت انتباهي..

الباب الزجاجي الكبير والخاص بمدخل المبنى مفتوح قليلًا، تعجبت، لأن هذا الباب لا يفتح إلا إلكترونيًا عند الدخول والخروج وببطاقة خاصة بسكان البناية.

ناديت على الحارس عبده فلم يسمعني، طرقت على بابه عدة مرات،

حينها سمعني السائق صبري فخرج من غرفته وسألني: ماذا هناك؟

سألته: من الذي فتح الباب الخارجي؟ أجابني بعدم معرفته بذلك لأنه كان نائمًا.

حينها فتح الحارس عبده باب غرفته ووجهه غارق بالنوم لا يكاد يفتح عينيه إلا بصعوبة، قلت له: من دخل إلى المبنى في مثل هذا الوقت المبكر وترك الباب مفتوحًا هكذا يا عبده؟

أجابني عبده: لا أعلم يا بابا، فقد كنت نائمًا ولم أسمع شيئًا أو أرَ أحدًا يدخل المبنى.

ولمَ النوم؟ ألم أحرص عليك أنت وصبري أن تقوما لصلاة الفجر؟

نعم بابا، ولكن أخذني النوم فلم أشعر بالوقت، رغم أنني ضبطت المنبه بهاتفي المحمول على وقت الصلاة، آسف بابا.

تركتهما، ثم تأكدت بعدها من إغلاق الباب جيدًا، ثم دخلت إلى المصعد الخاص بي للصعود إلى مسكني.

فضلًا يا سيد عبدالمجيد.. دعني أستوقفك هنا قليلًا.

السائق صبري حينما خرج ليسألك، هل كان نائمًا وقتها؟

هو قال لي بأنه كان غارقًا في النوم ولكن وجهه وملابسه التي كان يرتديها وقتها لا توحي بذلك.

حسنًا.. أكمل بعد صعودك إلى شقتك.

نعم، وجدت أم عادل في انتظاري بغرفة الجلوس، وضعت طعام الإفطار على المائدة الموجودة بالقرب منها.

تناولت معها القهوة العربية مع حبات من التمر، فهي معتادة على تحضيرها منذ الليلة السابقة بوضع القهوة في الدلة الخاصة بحفظ الحرارة.

أربعون عامًا يا بني وهي حريصة على راحتي وتجهيز كل ما أحبه بنفسها، لم تتأخر عني يومًا -لا حرمني الله منها-.

تبسم المحقق أسعد معجبًا بما يسمعه من الشيخ عبدالمجيد وهو يقول له: آمين يا رب، حفظكما الله.

أكمل الشيخ عبدالمجيد حديثه: نظرت إلى وجهها، كان الحزن مرتسمًا على قسماته، محاولة ألا تظهر لي ما يجول بنفسها.

حاولت جاهدًا أن أخفف عنها ولكنها كانت شاردة الذهن.

سألتها: ما بك يا أم عادل؟

قالت: يحزنني رؤية ابني ما بين أربعة جدران وأبناؤه يسألون عنه كل يوم.

ابني بريء يا أبا عادل، بريء، ألا تستطيع فعل شيء لإثبات براءته وإطلاق سراحه؟

ليس بيدي شيء يا أم عادل سوى الدعاء له، اصبري وصابري، إن الله مع الصابرين.

أجابتني من بين دموعها: ونعم بالله!

لكنني اشتقت إليه، فقد تعودت على رؤيته يمر بي ليلقي علي تحية الصباح بداية يومه، والمساء قبل أن ينام.

سيعود بإذن الله، ثقي بذلك ولا تجزعي، هو بريء، والله سيظهر براءته ليعود لبيته وأبنائه.

أجابتني من بين دموعها: إن شاء الله عما قريب.

ثم قامت وهي تحاول تغيير مجرى الحديث قائلة: حسنًا.. سأذهب لإحضار الشاي والحليب حتى نتناوله سويًا مع طعام الإفطار.

تركتني وذهبت إلى المطبخ، ولم يمض إلا وقت قصير حتى سمعت صوت صراخها يعلو عاليًا بشكل هستيري!

أصابني الرعب لسماعها وركضت إليها مستفسرًا، لأجد زوجتي تقف بزاوية المطبخ متشبثة بالباب الخاص بالثلاجة وهي تنظر برعب شديد وتشير لي بيدها المرتجفة من الخوف إلى الأرض!

نظرت إلى اتجاه ما أشارت إليه أم عادل، فرأيت منظرًا يدمي القلب ويزلزل النفس.

كانت ابنتي سعاد ملقاة على الأرض وقد فارقت الحياة، عيناها جاحظتان وقد تدلى لسانها وازرق وجهها.

حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل!

وارتج صوته وارتعشت أطرافه وابتلت لحيته بدموعه المنهمرة من عينيه.

كان الله بعونك يا سيد عبدالمجيد، أقدر مشاعرك وما تمر به..

لكني أريد منك أن تركز معي قليلًا، قبل ذهاب السيدة أم عادل إلى المطبخ، ألم تسمع شيئًا كصوت وقوع أطباق وانكسارها؟ ألم يلفت انتباهك حركة غريبة بالمنزل؟

فالجريمة تمت -حسب إفادة الطبيب الشرعي- ما بين الساعة السادسة والنصف والساعة السابعة والنصف صباحًا حيث الوقت التقريبي لوفاة المغدورة.

لا يا سيدي، حينما دخلت إلى البيت، كان الهدوء يعم المكان.

حسنًا يا سيد عبدالمجيد.. لنتحدث الآن عن زوجة ابنك السيدة سميرة كيف كانت علاقتك معها رحمها الله؟

كانت علاقة رسمية مختلفة عن الباقي، شخصيتها رحمها الله متقلبة، بعض الأوقات تراها في قمة السعادة والبسمة الجميلة تسود وجهها، وغالب الوقت حزينة ومتوترة يسودها القلق والعصبية.

كنت أعذرها لظروف مرض والدها لأنها تحملت مسؤولية رعايته والعناية به.

ورغم أوقات الحظر سعت بكل جهدها لإصدار تصريح خاص لزيارته والبقاء إلى جواره..

هذا الشيء جعلني أقدرها وأحترمها رغم كل شيء، فبر الوالدين لا يقدر بثمن.

جيد يا سيد عبدالمجيد، وأين كنت يوم مقتل السيدة سميرة؟

وقتها كنت نائمًا وكذلك أم عادل، فنحن نصلي صلاة العشاء وبعدها نخلد للنوم.

شكرًا لك سيدي، فضلًا وقع على أقوالك عند المحقق حسن..

ثم استدعى السيدة أم عادل للاستماع إلى أقوالها على الفور.

ولكن لي رجاء وطلب بسيط يا سيدي.

أجابه المحقق أسعد: تفضل ما هو؟

هل يمكن أن أبقى معها تطمينًا لها؟ فهي منهارة وترتجف خوفًا، لن أقاطعكم، هذا وعد مني يا سيدي، ولكن فقط لتطمئن لوجودي.

نعم تستطيع، لا مانع في ذلك.

كما أرجو منك ألا تسألها عن عمرها أبدًا، أنا سأقول لك كم تبلغ من العمر؟

تبسم المحقق وهو يسأله: ولمَ ذاك؟

لأنها ستقص عليك قصة طويلة عن تاريخ ولادتها، وما رافقه من أحداث مهمة، بناء عليه، عليك أنت أن تخمن عمرها، ستجعلك تدخل متاهة لا تستطيع الخروج منها؛ عقابًا لك على سؤالك عن عمرها.

لم يستطع المحقق أسعد والمحقق حسن منع نفسيهما من الضحك على خفة ظل الشيخ عبدالمجيد.

ووعداه بعدم سؤالها عن عمرها.

استأذن منهما ثم خرج وعاد بعد قليل ومعه زوجته أم عادل..

كانت سيدة مربوعة القامة، تميل إلى السمنة قليلًا..

ملامحها جميلة ومريحة للعين، لها شامة تتوسط خدها، وأنف طويل متناسق مع وجهها؛ ما أكسبها هيبة ووقارًا فور دخولها الغرفة.

بادرها المحقق أسعد بالترحيب بها ليلطف الأجواء ويزيل عنها الرهبة.

طلب منها الجلوس واختار أن يجلس إلى جوارها محاولًا قدر جهده ألا يزيد من حالة التوتر والقلق البادية على ملامحها.

سألها: كيف حالك يا سيدتي؟

أجابت بصوت خافت وهي تتلفت حولها متمسكة بغطاء رأسها الأسود تحكم ربطه عليها، باحثة عن وجه زوجها ولتتأكد بأنه ما زال موجودًا بالغرفة: الحمدلله بخير، شكرًا على سؤالك.

العفو سيدتي، لقد تحدثت مع زوجك السيد عبدالمجيد مطولًا ولذلك لن آخذ من وقتك الكثير يا سيدتي.

فهمت منه بأنك كنت نائمة حينما غادر المنزل حوالي الساعة السادسة والنصف صباحًا.. هل هذا صحيح؟

نعم، كنت نائمة، عادة أصلي الفجر ثم أعود للنوم حتى يرجع أبو عادل من الخارج.

هل سمعتِ صوت جلبة أو حركة غريبة؟

كنت نائمة ولكن استيقظت على صوت كأنه تكسير أطباق، كانت أصواتًا بعيدة فلم أتأكد منها، جلست على فراشي أصيغ السمع ولكن الصوت اختفى، فعدت للنوم، فقد ظننت بأنه قط أحفادي أبناء عادل ابني، فقد جلبوه عندي منذ... وصمتت ولم تستطع إكمال حديثها فقد غُص صوتها وغلبها البكاء.

أشار المحقق لزوجها عبدالمجيد بأن يقترب منها ليهدئ من روعها.

أمسك الشيخ عبدالمجيد بيدها وربت على كتفها قائلًا لها: تماسكي يا أم عادل، هل تريدين أن أحضر لك شيئًا؟

أجابته: نعم، القليل من الماء يا عزيزي.

أحضر لها كوب ماء، شربت بضع رشفات..

الحمدلله.. شكرًا لك.

نعم يا سيدي المحقق كما قلت لك، سمعت صوت جلبة بعيدة عن غرفتي، حاولت التحقق منها؛ اعتقادًا مني بأنني كنت أحلم، أو أن القط المشاغب يلعب بالأثاث، فقد كان يحب القفز من مقعد إلى آخر مثير الفوضي من حوله..

ولكن الصوت اختفى، نعم، فعدت إلى النوم.

حسنًا يا سيدتي.. أنتِ كنتِ أول من رأى القتيلة سعاد ملقاة على الأرض.

أرجو أن تحدثيني كيف ذلك، وأتمنى أن لا يزعجك هذا السؤال ولكنه مهم جدًا بالنسبة لنا.

ارتجفت يداها وهي تحاول التماسك.. ذهبت إلى المطبخ لإحضار الشاي والحليب لنتناوله مع طعام الإفطار الذي أحضره أبو عادل، فقد تعودنا على ذلك يوميًا.

هل كانت سعاد المسؤولة عن تجهيز ذلك لكما؟

لا يا سيدي، سعاد في مكانة ابنتي، فكنت لا أحب إيقاظها في مثل هذا الوقت المبكر..

عادة ما تصحو في تمام الساعة التاسعة لتشرف على البيت ونظافته

ثم تقوم بمساعدتي لتجهيز وجبة الغداء.

نعم، أكملي يا سيدتي.. ذهبتِ إلى المطبخ، ما الذي لفت انتباهك أول شيء عند دخولك إلى المكان؟

لفت انتباهي الفوضى التي تعمه، كان كرسي طاولة المطبخ ملقى على الأرض، والطاولة نفسها كأنما أحد حركها من مكانها رغم أنها ثقيلة الوزن وليس من السهل تغيير مكانها.

فجأة شعرت بانقباض بصدري، الإضاءة كانت ضعيفة، ومقبس النور ليس في متناول يدي..

قمت بفتح باب الثلاجة حتى أستطيع رؤية ما حولي جيدًا من خلال ضوئها، حينها رأيتها..

هناك سعاد حبيبتي، سعاد حبيبتي ابنتي.. حاولت أن أقترب منها، ملأني الرعب لرؤية وجهها، صرخت بأعلى صوتي، لم أعرف كيف أتصرف فقد أصبح جسدي خارج سيطرتي.

سعاد حبيبتي.. وانهارت بالبكاء.

هوني عليك يا سيدتي، من أجل سعاد لا بد أن تتماسكي حتى تساهمي معنا بالكشف عن الشخص معدوم الضمير الذي فعل فعلته تلك معتقدًا بأنه سينجو بها ويهرب من قبضتنا.

انتظر المحقق أسعد قليلًا حتى تتمالك أم عادل نفسها.

حسنًا يا سيدتي، هل لاحظتِ على سعاد أي تغيير في حالتها النفسية، أو تغييرًا بتصرفاتها قبل الحادث؟

نعم يا بني، قبل حوالي شهر تقريبًا لاحظت عليها شرودها وعدم تركيزها في عملها.

كذلك أصبحت لا تغادر غرفتها كثيرًا، وإن خرجت منها تعود سريعًا للرد على هاتفها المحمول.

تعجبت من ذلك، فسعاد ليست كثيرة التحدث بالهاتف، لكن باليومين الماضيين كان هاتفها لا يتوقف عن الرنين، بين كل مكالمة مكالمة أخرى.

من أقرب صديقاتها إليها؟

ليس لديها الكثير من الصديقات، لكن أكثر من كانت تثق بها هي حميدة التي تعمل لدى منزل ابني عادل،

تعتبرها بمكانة أخت كبيرة لها.

جيد جدًا، شكرًا لك يا سيدتي، تفضلي بالتوقيع على أقوالك..

والآن هل تسمحين لنا برؤية غرفتها؟

نعم، بكل سرور، تفضل معي سأرشدك إليها.

ارتاحي أنت سيدتي ودعي السيد عبدالمجيد يفعل ذلك.

دخل كل من المحقق أسعد وحسن إلى الغرفة وطلبا من الشيخ عبدالمجيد انتظارهما بالخارج.

كانت غرفة سعاد تقع قبل غرفة المطبخ بمسافة قليلة.

توحي لمن يدخلها بالنظام والترتيب وتدل على ذوق صاحبتها، رغم أن مساحتها ليست كبيرة، إلا أنها استغلتها بوضع العديد من الشتلات الخضراء الصغيرة، وهناك ورود مجففة وضعت بجوار منضدة السرير.

تجول المحقق أسعد بالغرفة متأملًا كل ما فيها، خاصة الصور التي زينت بها مرآتها، هناك صورتها مع عائلتها، وكذلك صور مع الشيخ عبدالمجيد وزوجته والأحفاد، صور تبدو بها في غاية السعادة.

كانت سعاد شابة جميلة، ذات بشرة سمراء زادتها جمالًا، تبلغ من العمر ما يقارب الثلاثين عامًا.

من خلال النظر إلى الصور تستطيع أن تخمن بأنها كانت سعيدة مع أسرة الشيخ عبدالمجيد.

لفت انتباه المحقق أسعد ورقة صغيرة ملقاة على الأرض بجوار الفراش، التقطها وتفحصها، كانت مطوية بعناية شديدة.

فتحها، بدأ يقرأ ما كُتب بها ثم ناولها إلى المحقق حسن الذي بدوره قرأها ونظر إلى المحقق أسعد متعجبًا...

«حبيبتي سعاد، لا تهتمي ولا تقلقي، سأرتب كل شيء لنكون معًا، فقط اصبري، ولا تصارحي أحدًا بما دار بيننا، وتأكدي بأنني سأوفي بوعدي قريبًا وقريبًا جدًا».

كانت الرسالة دون توقيع أو اسم.

تساءل المحقق حسن: حسنًا.. ماذا تعني هذه الرسالة؟

تعني أن القاتل بهذه الرسالة اقترب من الكشف والإفصاح عن نفسه، أجابه المحقق أسعد وهو يبتسم بكل ثقة:

انظر وراء الباب، ستجد حقيبة صغيرة رُتبت على عجل بها ملابس سعاد.

ذهب المحقق حسن إلى المكان المطلوب، ليفاجأ بوجود حقيبة صغيرة، قام بفتحها على الفور، وجد بها القليل من الملابس، تبدو بأنها تعود لسعاد.

ماذا؟! كيف علمت عن هذه الحقيبة يا أسعد؟! قل لي بالله عليك.

أجابه: قلت لك من قبل بأن الأشياء الصغيرة من حولك التي قد تبدو لك غير مهمة وبأن وجودها في مكانها ذلك لا معنى له، بينما الواقع يقول لك انظر، تأمل، دقق جيدًا، فهناك شيء ما سيرشدك إلى مبتغاك، ألا وهو الوصول إلى الحقيقة..

انظر ماذا وجدت أيضًا بداخل أحد أدراج خزانتها.

ناوله دفترًا صغيرًا تفوح منه رائحة عطر رجالي نفاذ.

كانت سعاد تكتب قليلًا من أحداث يومها، ليس هناك الكثير ولكن هناك سطور كُتبت على عجل وواضح

بأنها كانت تبكي وهي تكتبها فدموعها اختلطت بحبر القلم مشكلة بقعًا توسعت فمسحت بعض الكلمات المكتوبة.

قال المحقق أسعد للمحقق حسن: اقرأ هذه الصفحة بالذات وقل لي ما رأيك.

تأمل المحقق حسن الصفحة وبدأ يقرأها...

«لقد رأيتك، نعم رأيتك تخرج مسرعًا من الباب الخلفي، ما الذي أتى بك؟ لقد تعجبت كثيرًا من تصرفاتك وأذهلني ما رأيته.

حينما كلمتك عن ذلك تهربت مني وقلت بأنني واهمة، وبأنه مجرد خيال، وبأنك كنت بعيدًا كل البعد ذلك اليوم.

لماذا تحاول خداعي، لقد كنت أنت من فعلها لا بد..

كيف أحببت شخصًا مثلك لا أمان له! وعدتني بأشياء كثيرة ولم تُوفِ بوعودك، كيف أصدقك الآن وأطمئن لك بعد أن رأيتك بعيني أيها المخادع؟!».

توقف المحقق حسن عن القراءة وهو يتساءل: ما معنى هذا الكلام يا أسعد؟ هل تقصد بأنها كانت على صلة أو معرفة بالقاتل؟

نعم، ومعرفة وثيقة جدًا، والدليل الرسالة وهذه المذكرات والحقيبة..

كلها تشير إلى ذلك، ولهذا السبب قُتلت لضمان سكوتها وعدم بوحها بما تعرفه.

يبدو أن القاتل حريص جدًا على إزالة آثاره من مسرح الجريمة.

بكل تأكيد هو من ارتكب الجريمة الأولى، واضعًا بطريقنا أدلة مضللة، ليشتت انتباهنا بعيدًا عنه.

هيا بنا حتى لا نضيع الوقت هنا، أريد التحقيق مع الجميع، لن أستثني أحدًا.

بمن ستبدأ إذن؟

بنساء العائلة، زوجات الأبناء والأخت، فعند النساء مقدرة على رؤية الأشياء الصغيرة أيًا كانت.

كما أن لهن ذاكرة قوية، تستطيع ملاحظة وتذكر أدق التفاصيل وسردها بكل بساطة وسلاسة.

حسنًا.. أفضل استدعاءهن واحدة واحدة، والتحقيق سيكون في مكتب السيد عبدالمجيد، بعيدًا عن أي فوضى أو تدخل من أحد أفراد الأسرة..

ورجاء يا حضرة المحقق حسن، السيدة التي يكون دورها بالتحقيق لا أريد مرافقة زوجها لها نهائيًا، أو تدخله في مجريات التحقيق..

فقد يمنع وجوده من قول الحقيقة، أو الخوف من البوح بأشياء يعتقد البعض بأنها قد تؤثر على حياتهم.

هيا بنا ولنبدأ بزوجة الدكتور عماد.

على الفور يا سيدي، سأطلب حضورها الآن.

بعد حوالي عشر دقائق طرق باب المكتب المحقق حسن ليبلغ المحقق أسعد بوصول السيدة خلود.

أمر بالسماح لها بالدخول، فتح الباب ودخلت إلى الغرفة سيدة صغيرة الحجم قصيرة القامة دقيقة الملامح، توحي لمن يراها بأنها ما زالت مراهقة عمرها ببداية العشرينات.

جلست أمام المحقق أسعد بكل هدوء وثقة، تأملها طويلًا وهو يفكر: لا أعتقد بأن هذا السيدة تستطيع خنق

حتى قطة! يداها صغيرتان، تحتاج إلى قوة تفوق قدرتها لتستطيع فعل ذلك.

لكنه تعلم ومن خلال طول خبرته بمجال عمله، ألا تخدعه المظاهر ويصدر حكمًا بناء على ما يراه، فقد يدفعها لفعل ذلك مشاعر غضب وغيرة من القتيلة، يضطرها للاستعانة بشخص آخر للقيام بذلك دون أن تظهر هي بالصورة.

نعم، كل شيء جائز وممكن وغير مستبعد، فالغيرة قاتلة في بعض الأوقات.

شعرت خلود بالتوتر، ودت لو أنها تستطيع الهروب من المكان، ومن نظرات المحقق الذي كان يتأملها في صمت طال أمده..

كان بالنسبة لها وكأنه دهر، أطبق على صدرها، فكانت بالكاد تستطيع التنفس براحة.

أفاقت من شرودها على صوت المحقق أسعد وهو يقول: اسمك وعمرك واسم زوجك، وكم مضى على زواجكما، وعدد أبنائك وأعمارهم؟

وما هي وظيفتك إن كنتِ تعملين؟

اسمي خلود حسين، عمري أربعة وثلاثون عامًا، متزوجة من الدكتور عماد عبدالمجيد منذ عشرة أعوام.

لدينا ابنتان: سلوى تسعة أعوام، ومنى ستة أعوام.

وأنا ربة منزل لا أعمل، فقد فضلت البقاء بالمنزل للاهتمام ببنتيّ وزوجي، والإشراف على كل ما يتعلق بهم بنفسي؛ نظرًا لوضع عمل زوجي كطبيب مما يضطره التغيب عن البيت.

حسنًا.. كيف كانت علاقتك بالسيدة سميرة رحمها الله؟

تنهدت خلود بعمق وهي تحاول التنفس بهدوء، وبصوت ناعم منخفض قالت: بكل صراحة لم تكن علاقتي بها جيدة، بل كانت متوترة غالب الأوقات، فلم أكن قريبة منها، بل كنت أتحاشاها قدر استطاعتي.

سألها المحقق أسعد: وما هو السبب لتوتر العلاقة بينكما؟

أجابته وهي تحاول السيطرة على نبرة صوتها ثابتة: كانت سميرة رحمها الله ذات شخصية انفعالية وشديدة العصبية..

سريعة الغضب ومن أقل وأتفه الأسباب، تختلق من موقف بسيط مشاكل لا تنتهي..

لهذا حرصت كل الحرص أن تكون علاقتي بها رسمية، أي لا أراها أو أتحدث معها إلا بالمناسبات.

وهل هناك موقف محدد تذكرينه لها؟

أجابت بحدة غيرت من نبرة صوتها الناعم: موقف واحد يا سيدي، بل مواقف..

محاولاتها الدائمة للفت نظر زوجي واستعراض جمالها أمامه في كل مناسبة، متجاهلة مشاعري نهائيًا..

كذلك عدم احترام زوجها ومكانته كأخ أكبر لزوجي وفي منزلة أخي أيضًا.

هل حاولتِ لفت نظرها لتصرفها ذلك أو التحدث معها لتكف عنه؟

لا يا سيدي، فأنا لست مجنونة، نعم، فأنا أفكر كثيرًا قبل أي تصرف، فهي عنيدة وإن حاولت أن أطلب منها احترامي، ستصر على تصرفاتها..

ولهذا فضلت التصرف بروية وتعقل، لن أسلمها منفذًا تستطيع من خلاله إغاظتي وإشعال غيرتي على زوجي.. مستحيل.

كتمت كل ذلك بصدري وخبأته فيه، حتى زوجي لم أصارحه بذلك.

فبكفية عمله المجهد بالمستشفى، يعود منه وقد خارت قواه، خاصة مع ازدياد حالات الإصابة بفايروس تلك الحمى.

لقد أصبح مرهقًا حزينًا لرؤية المصابين يملأون ردهات المستشفى يوميًا..

ذلك ما كان يمنعني عن مصارحته، كنت أشعر بألمه وحسرته، فما يؤذيني أو يضايقني، لا يقارن بما يمر هو به.

موقف واحد اضطررت فيه أن أواجهها وأرد عليها وفي أثناء وجود زوجي بالبيت.

وما هو ذلك الموقف يا سيدتي؟

تشاجرت ابنتي الصغيرة منى مع ابنها الصغير منير بسبب تحطيمه دون قصد للعبتها وقامت بطرده من البيت، طفلة تأثرت بما جرى لم تقصد شيئًا..

خرج منير باكيًا، وبعد خمس دقائق وجدنا سميرة برفقته وهي تصيح على ابنتي، تدخلت طبعًا وطلبت منها خفض صوتها والتحدث بأسلوب أفضل معي ومع ابنتي التي انهارت بالبكاء من خوفها..

ولكنها استمرت بالصراخ، وعايرتني بعدم إنجابي الولد..

وبأنني مهما حصل سأكون أم البنات فقط، ولن أستطيع إنجاب ولد مثل ابنها منير.

هنا أمرتها بالخروج من شقتي وعدم العودة مرة ثانية.

حسنًا.. متى كانت آخر مرة رأيت السيدة سميرة؟

رأيتها يوم وفاتها -رحمها الله- وذلك بعد صلاة الظهر وهي تخرج من شقتها مسرعة، كنت أقف عند الباب ومعي ابنتي عائدة من بيت جدهم عبدالمجيد، وحين رأيتها أغلقت الباب بسرعة، وسمعت خطواتها وهي تبتعد، تلك كانت آخر مرة رأيتها فيها.

وأين كنتِ ليلة مقتلها؟

كنت أتناول العشاء لدى والدي زوجي، حيث تحب البنات اللعب هناك..

فقد قام جدهما الشيخ عبدالمجيد بتوفير كافة الألعاب الخاصة بالأطفال في حديقة منزله.

بقيت هناك حتى موعد نوم البنات ثم استأذنت مصطحبة الفتاتين إلى منزلنا.

كم كانت الساعة فضلًا يا سيدتي؟

كانت حوالي الثامنة والنصف مساءً.

وهل رآك أحد حين انصرافك يا سيدتي؟

نعم، الجميع: والد ووالدة زوجي وأخت زوجي أميرة..

كما أن زوجها فارس كان يحمل ابنته وركب المصعد معنا..

بعدها وضعت سلوى ومنى بفراشيهما، ثم توجهت إلى غرفتي محاولة الخلود إلى النوم، منتظرة عودة زوجي من عمله.

وبينما أنا أشعر بالنعاس، سمعت صوت زوجي عماد..

كانت نبرة صوته عالية جدًا..

فركضت مسرعة إليه ينتابني القلق متسائلة عن سبب انفعاله، فعماد عادة لا يتحدث بصوت مرتفع.

أمرني بالبقاء مكاني وقال لي بأنه ذاهب ليطمئن على أخيه عادل، مصطحبًا معه حقيبته الطبية ثم خرج مسرعًا.

عدت إلى غرفتي وأنا أشعر بالخوف يتملكني ولا أعرف سببًا لذلك! لم أستطع الجلوس من شدة القلق، فتوجهت إلى نافذة الغرفة وأزحت الستار، كان الظلام يعم الشارع أمام البيت، ولكن هناك نور خافت من أعمدة الإضاءة.

لمحت رجلًا طويلًا يخرج مسرعًا من المبنى، كان يرتدي ثوبًا يميل لونه إلى الكحلي وقد تلفح وجهه بشال غامق لونه، غطى على ملامحه، فقد ساد الظلام رغم أن ضوء أعمدة النور كان ضعيفًا..

فلم أستطع التعرف عليه، مع أن طريقة مشيته ليست غريبة عليّ، فقد بدا لي وكأنني رأيته من قبل!

ما الذي جعلك تعتقدين بأنه شخص مألوف لديك؟

لا أعلم بالضبط، ولكن ربما الطريقة التي كان يمشي بها مسرعًا باتجاه الطريق بدت لي مألوفة.

حسنًا.. لنتحدث الآن عن الشابة سعاد -رحمها الله- ماذا تعرفين عنها؟

تنهدت خلود بأسى وهي تقول: كانت فتاة جميلة، خلقًا وخُلقًا، طيبة وحنونة يحبها الجميع، مرحة تنثر البهجة والفرح أينما تكون.

كنت أحبها وأعطف عليها كثيرًا، وأعطيها من ملابسي وأشتري لها أيضًا ما يناسبها.

أحببتها لحبها لابنتيّ سلوى ومنى، وهما أيضًا تعلقتا بها.

كانت سعاد قريبة من قلوبنا جميعًا، بلطفها وحنانها ورعايتها لوالدي عماد.

لا أصدق أبدًا بأنها قتلت يا سيدي، من فعل ذلك هو إنسان معدوم الضمير، بلا مشاعر ولا قلب كباقي البشر..

يقتل فتاة بريئة لا تعرف إلا الخير، وتحب الخير لكل من حولها!

حسنًا يا سيدتي.. سؤال أخير: أين كنتِ ما بين الساعة السادسة والنصف إلى الساعة الثامنة صباح اليوم؟

كنت غارقة بالنوم، لم أصحُ إلا على صوت زوجي وهو يطالبني بالنهوض لأحضر له طعام الإفطار قبل ذهابه إلى عمله.

كم كانت الساعة وقتها؟ هل تستطيعين تحديد الوقت؟

كانت الساعة حوالي الثامنة صباحًا، قمت لأحضر له ولي كوبَي قهوة التي نحب أن نحتسيها أولًا وقبل كل شيء.

وبينما أنا بالمطبخ أضع فنجاني القهوة بالصينية، جاء اتصال لعماد على هاتفه المحمول، وتساءلت من يتصل به في مثل هذا الوقت المبكر؟! قلت بنفسي ربما اتصال من المستشفى.

بعدها أقبل على عماد يبدو على وجهه الدهشة والفزع وقد عقدت الصدمة لسانه!

أرعبني رؤيته بذلك المنظر، سألته: من كان المتصل؟

أجابني بصعوبة وبصوت متهدج بأن المتصل كان والده، يبلغه بعثوره على سعاد وقد فارقت الحياة مقتولة خنقًا، طالبًا منه الاتصال بكم على الفور.

سقط الفنجان من يدي على الأرض وأنا في غاية الذهول لا أصدق ما أسمعه!

وركض زوجي مسرعًا لشقة والده بعد أن قام بالاتصال بالشرطة.

هذا كل ما حدث يا سيدي.

حسنًا يا سيدتي.. وقعي على أقوالك عند المحقق حسن.. شاكرًا لك صراحتك.

كما أرجو منك عدم البوح بمحتوى ومجرى التحقيق لأي كائن من كان..

وإن تذكرتِ أي تفاصيل تتعلق بالحادثتين تواصلي معنا على الفور.

خرجت خلود من غرفة المكتب مسرعة وهي تتنفس الصعداء لانتهاء التحقيق معها.

نظر المحقق حسن إلى المحقق أسعد متسائلًا: ما رأيك؟

امرأة ذكية، محبة لزوجها ولحياتها معه، تحترمه احترامًا، واضح في كل كلامها عنه.

لكن الغيرة مدمرة يا حسن، قد تجعلك تتصرف دون وعي، فالغيرة بعض الأوقات تعمي البصيرة.

هل تشك فيها، ومن المحتمل أن تكون ضمن قائمة المشتبه بهم؟

لا أعتقد يا حسن، لكن هناك شيء ذكرته لنا مهم ولا بد أن نجعله من ضمن الدلائل المهمة.

بدأتُ أؤمن، بل وأكاد أجزم بأن عادل بعيد كل البعد الآن عن ارتكابه الجريمة أو مشاركته بها..

ولا بد وبناءً على ما سمعته وشاهدته حتى هذه اللحظة، العمل على كشف القاتل الحقيقي وبدون أي تأخير، رغم أنني أرى صعوبة ذلك يا حسن.

لماذا يا أسعد؟ أنا أرى أن عادل له شريك قام بدلًا عنه بارتكاب الجريمتين، وأعتقد بأن الجريمة الثانية للتغطية على الأولى وبعلم وتوجيه من عادل نفسه.

قال أسعد بصوت نبراته قوية واثقة: سنرى يا حسن، فقط لنكمل التحقيق وستتضح لنا الأمور أكثر وأكثر.

أعتقد قد حان الآن الدور لاستدعاء زوجة فؤاد عبدالمجيد.

حسنًا سأذهب لإحضارها على الفور.

خرج المحقق حسن مسرعًا لتنفيذ ما طلبه منه المحقق أسعد.

بعد حوالي ربع ساعة، طرق المحقق حسن الباب ليعلم المحقق أسعد بوجود السيدة ليلى معتذرًا عن التأخير، فقد بحث عنها مطولًا حتى وجدها.

تعجب المحقق أسعد متسائلًا: ألم تبلغ الجميع بضرورة التواجد كلٌ في مكان سكنه؟!

نعم أبلغتهم جميعًا، ولا أعلم عذرها، لم تعطيني سببًا مقنعًا.

حسنا.. دعها تدخل وسنفهم منها كل شيء..

فمن الواضح أنها امرأة مثيرة الاهتمام.

دخلت السيدة ليلى غرفة المكتب، نظر إليها المحقق أسعد متأملًا. كانت امرأة طويلة القامة سمراء، ملامحها يشوبها لمحة حزن سكنت عينيها السوداوين والواسعتين، يبدو على تصرفاتها التوتر والقلق.

قال لها المحقق حسن وهو يرشدها إلى مكان جلوسها بالمقعد المقابل للمكتب الذي يجلس خلفه المحقق أسعد: «تفضلي بالجلوس هنا يا سيدتي».

جلست ليلى وهي تحاول السيطرة على ارتعاشة يديها رهبة من الموقف الذي وُجدت به.

ساد الصمت المكان ولم يكن يسمع إلا صوت الأوراق التي يقوم بترتيبها المحقق حسن استعدادًا لكتابة محضر التحقيق.

سيدتي.. أرجو منك الانتباه لكل سؤال سأطرحه عليك والإجابة عليه بكل دقة وبمنتهى الصدق والصراحة..

وسأعيد عليك السؤال أكثر من مرة في حال شعرت بأنك تتهربين من الإجابة أو تحاولين عدم ذكر الحقيقة..

والقرار بيدك سيدتي، أن تنتهي من الرد على الأسئلة بوقت قصير، أو نستمر اليوم بكامله.

نعم يا سيدي، تأكد بأنني سأقول لك كل ما عرفت أو رأيت أو سمعت، فلا أود تعطيل سير العدالة.

حسنًا.. اسمك، وعمرك، ووظيفتك إن كنت تعملين، وحالتك الاجتماعية، وكم طفلًا لديك وأعمارهم؟

اسمي ليلى صالح، عمري اثنان وثلاثون عامًا، متزوجة من فؤاد عبدالمجيد منذ خمس سنوات.

صمتت قليلًا، ثم قالت بصوت منخفض لا يكاد يسمع: لم نُرزق بأطفال بعد.

نظر المحقق أسعد إلى المحقق حسن وأشار إليه دون أن يلفت انتباه السيدة ليلى بأن يهتم بهذه النقطة.

أعمل معلمة للغة الإنجليزية بمدرسة البنات الثانوية الخاصة منذ ثلاثة أعوام.

كيف كانت علاقتك بالسيدة سميرة رحمها الله؟

صمتت قليلًا في محاولة منها للسيطرة على أعصابها والتنفس بعمق قدر استطاعتها..

فالسؤال الذي طرحه المحقق له ألف إجابة، ولن تكفيه السطور للإجابة عليه.

قالت: لم تكن بيني وبينها أي علاقة ولا يجمعني بها إلا السلام الرسمي فقط..

والحمد لله بأن زوجي ومنذ ارتباطنا جاءه عمل بمدينة بعيدة والتحقت به ووجدت أنا أيضًا وظيفة مناسبة، وأصبحت أمورنا تسير بكل سلاسة وهدوء.

ولماذا كانت علاقتك بها رسمية رغم صلة القرابة وكون زوجيكما أخوين؟

الأسباب كثيرة، أولها وأهمها أنها كانت إنسانة متكبرة ومغرورة سليطة اللسان، لا تحترم ولا تهتم بمشاعر وأحاسيس غيرها..

محبة لنفسها، واثقة من جمالها لدرجة الهوس باستعراضه والتباهي به أمام الجميع دون احترام لكبير أو صغير..

لهذا وجدت نفسي مضطرة وغير آسفة على ذلك، لمقاطعتها والابتعاد عنها نهائيًا.

هل حدث بينك وبينها أي احتكاك أو موقف أدى إلى خلاف أو مشاكل؟

مواقف عديدة يا سيدي وكنت لا أسكت عنها أبدًا..

فلست ضعيفة الشخصية كخلود زوجة الدكتور عماد، أقابل استفزازها لي ومحاولاتها التقليل من شأني بالصمت.

اذكري لنا موقفًا محددًا جعلك تشعرين بأنه لا بد لك من مواجهتها. كنت عائدة ذات يوم من منزل والدي، في إحدى عطل نهاية الأسبوع لأخذ بعض متعلقاتي الشخصية من شقتي، حيث كنت أفضل البقاء بمنزل والدي حينما نعود إلى المدينة في زيارة للأهل.

وجدتها بطريقي، تجاهلتها وتوجهت إلى شقتي، إلا أنها اعترضتني قائلة لي باستهزاء: لو كنت مكانك لما

تركت زوجي وحيدًا ليفعل ما يحلو له، لا حسيب ولا رقيب، يدخل ويخرج براحته.

وقفت أمامها وأنا أكاد أغلي من الغيظ قائلة: انتبهي لكلامك ولا تتدخلي في شؤون غيرك.

أجابتني بكل برود: هي نصيحة لك، إن أحببت الاستماع لها أو لا، براحتك، ولكنني هنا أرى وأسمع.

وحذرتك ونبهتك.. خذي بالك من زوجك يا مسكينة، يا من تعيشين بوهم الحب والإخلاص والرومانسية، فلا شيء يربطه بك، لا ولد ولا بنت..

قريبًا جدًا سيطير طائرك إلى عش غيرك أيتها البلهاء!

وقبل أن أرد عليها انصرفت مسرعة من أمامي وهي تضحك عاليًا وبشماتة..

جعلتني أشعر بالغيظ والكراهية نحوها، هل توجد إنسانة مثلها تحمل بقلبها كل ذلك الحقد والحسد والغيرة؟!

ما الذي تقصده وتلمح إليه؟! تريد أن تزرع بقلبي الشك بزوجي الذي لم أرَ منه ما يعيب؟!

دخلت شقتي وأنا تلعب بذهني الأفكار والظنون!

وجدت فؤاد بغرفة الجلوس، سألني: ماذا بك ولمَ وجهك هكذا؟

لم أعلم بماذا أجيبه، ولكني ما تعودت أن أبقي سرًا بعيدًا عنه.

قلت له ما صار معي وكلام سميرة.

ضحك عليّ وقال: لم يتبقَّ لنا يا ليلى إلا أن يهزنا ويؤثر علينا كلام واحدة مثل سميرة هذه!

كوني عاقلة ولا تستمعي إلى هذه المهاترات والتفاهات..

هي فقط تريد إغاظتك فلا تلتفتي لها، ولا تلقي لها بالًا.

أجبته بغيظ: لا دخان من دون نار!

لماذا ستقول كل ذلك الكلام إن لم تزَ أو تسمع ما جعلها تقول ما قالته لي؟!

رد عليّ غاضبًا: هل جُننتِ يا ليلى لتصدقي سميرة؟!

سميرة التي لم يسلم أحد من شرها ولسانها وحقدها على جميع من يعيشون هنا؟!

اعقلي وحكمي عقلك لا عاطفتك، ووازني الأمور بروية، ولا تنقادي وراءها هكذا بسهولة.

تركته وذهبت إلى غرفتي لأحضر ما أحتاجه من ملابس، فلم أعد أطيق البقاء لحظة واحدة بنفس المكان الذي تتواجد به تلك الحية السامة.

حسنًا.. متى آخر مرة رأيتِ فيها السيدة سميرة رحمها الله؟

رأيتها قبل وفاتها بأسبوعين تقريبًا، كنت عند أهل زوجي فؤاد مجتمعين على العشاء، وكالعادة تطاولت عليّ وعايرتني بعدم الإنجاب، فلم أسكت على كلامها وتدخلها فيما لا يعنيها ومحاولتها زرع الغيرة والشك بقلبي، ما زال صداه يدوي داخل صدري..

فانفجرت بوجهها وكدنا نتشابك مغًا بالأيادي، لولا أن أم زوجي سارعت بالاتصال بزوجها وزوجي فحضرا على وجه السرعة لفض هذا النزاع..

وبالفعل اعتذرت من أم زوجي وغادرت المكان..

هذه كانت آخر مرة أراها فيه يا سيدي المحقق.

وأين كنتِ وقت وقوع الجريمة يا سيدتي؟

كنت في منزل والدي حيث كان يقيم احتفالاً بمناسبة زواج أختي الصغرى لمى..

فكنت أساعد والدتي بالتجهيز والترتيب للحفل.

كيف عرفتِ بخبر وفاتها؟ ومن قام بإبلاغك بذلك؟

عرفت عن طريق خلود زوجة دكتور عماد، حيث قامت بالاتصال بي فورًا..

فبادرت بالاتصال بزوجي لأتأكد منه من صحة الخبر، فلم يجب عليّ بدايةً، وبعدها بحوالي ساعة اتصل بي يؤكد لي الخبر..

وليبلغني بأنه سيمر لاصطحابي حال وصوله إلى المدينة.

ألم تكوني مع زوجك في طريق العودة يا سيدتي؟

كما سبق وقلت لك، كنت متواجدة في منزل والدي لحضور حفل زواج أختي الصغرى.

وكم من الوقت كنتِ بمنزل والدك؟

كنت هناك قبلها بيومين، أخذت من عملي إجازة اضطرارية.

ومن قام باصطحابك إلى منزل والدك؟

زوجي فؤاد أوصلني إليهم وقام بالسلام على والدي وبارك له، واعتذر عن عدم استطاعته الحضور لارتباطه بعمله واضطراره للعودة على الفور إلى حيث مقر عمله.

هكذا إذن!

وماذا عن سعاد رحمها الله؟ كيف كانت علاقتك بها؟ وما الذي

تعرفينه عنها؟

كما سبق وأن قلت لك يا سيدي، لم أكن متواجدة غالب الوقت بمنزل أهل زوجي..

وحتى أيام العطل الرسمية، كنت أفضل البقاء بمنزل والدي لشعوري بالراحة هناك..

أما سعاد رأيتها مرات قليلة ومن بعيد، كانت فتاة هادئة تحب الجميع، تقوم بواجبها لخدمة ورعاية والدي زوجي..

لم يكن بيني وبينها أي تواصل مباشر إلا حينما تراني، تسألني كيف حالك فقط.

حسنًا.. أين كنتِ ما بين الساعة السادسة والثامنة صباح اليوم؟

كنت نائمة يا سيدي بمنزل والدي حينما اتصل بي زوجي ليبلغني بالخبر، طالبًا مني البقاء هناك حتى إشعار آخر.

ثم عاد واتصل بي حوالي الساعة العاشرة صباحًا ليبلغني بضرورة عودتي لمنزلهم حسب طلب رجال الشرطة منهم بضرورة وجود الجميع..

وأبلغني بأنه سيمر لاصطحابي على الفور.

هل لديك أقوال أخرى تودين إضافتها يا سيدتي؟

لا يا سيدي، هذا كل ما لديّ وما أعرفه.

جيد جدًا.. وقعي على محضر أقوالك رجاء، وإن تذكرت أي شيء غفلت عنه تواصلي معنا على الفور.

شكرًا لك.. تفضلي تستطيعين الانصراف الآن.

وخرجت من الغرفة مسرعة الخطا تتلفت حولها وكأن هناك من يتابع خطاها ويراقبها.

أغلقت الباب من ورائها، حينها نظر المحقق أسعد إلى المحقق حسن وهو يسأله: ما رأيك في السيدة ليلى يا حسن؟

أجابه: لا أعلم، ولكني لم أرتح لها أو لكلامها، وأرى بأنها تحمل شعورًا بالكراهية يفوق جميع من استمعنا لهم.

تبسم المحقق أسعد وهو يقول له: اصبر قليلًا فلم تزّ شيئًا بعد، فالقادم سيصدمك عما سمعته من قبل!

أسعد.. ماذا تقول؟! هل هناك أسوا مما سمعناه؟! وإن كان حقًا ما تقوله، كيف علمت بذلك؟

لا أعلم يا حسن ولكني أتوقع، وكما سمعنا ورأينا كيف أن الجميع لا يحمل للسيدة سميرة رحمها الله وِدًا..

وكل منهم له مواقف معها لا تسر، بل تعطي كل واحد ممن استمعنا لهم ألف حجة لارتكاب الجريمة.

وكل منهم لديه الدافع، والدافع القوي أيضًا.

دعني الآن أستدعِ السيدة أميرة ابنة السيد عبدالمجيد على وجه السرعة..

وأعطِ خبرًا لكل من زوجها فارس، والسائق صبري، أن يكونا على أهبة الاستعداد للتحقيق والإفادة بأقوالهما كلٌ بدوره.

أمرك سيدي، سأذهب على الفور لاستدعاء السيدة أميرة.

وانصرف مسرعًا لتنفيذ الأوامر.

بقي المحقق أسعد بالمكتب مستغرقًا بالتفكير، جريمتان متقاربتان وبنفس الأسلوب والطريقة..

الضحية الأولى أجمع الكل على كراهيتها، والضحية الثانية اجتمع الكل على محبتها ورغم ذلك قُتلت!

ما السبب إذن والدافع لقتلها؟ شيء محير بالفعل!

لكن من الواضح بأنه تم التخلص منها لقربها ومعرفتها لهوية القاتل.

سواء كانت تلك المعرفة صدفة، أو أنها رأت القاتل بجوار مسرح الجريمة وتعرفت عليه..

هل عادل بريء؟! شيء محير ولغز لا بد من الوصول إلى حله وبأسرع وقت ممكن.

بينما هو غارق بحيرته وسارح بتفكيره سمع طرقًا على الباب، ثم دخل المحقق حسن معلنًا حضور السيدة أميرة للإدلاء بأقوالها.

دعها تدخل على وجه السرعة.

فتح الباب ودخلت إلى الغرفة شابة طويلة القامة نحيفة البنية، تبدو وكأنها طالبة في المرحلة الثانوية.

ملامح وجهها متناسقة ومريحة لمن ينظر إليها، وبها شبه كبير وقريب من والدها الشيخ عبدالمجيد..

تبدو من طريقة مشيتها بأنها واثقة جدًا من نفسها.

جلست أمام المحقق أسعد دون أن يوجهها أحد وبدون أي ارتباك وبكل هدوء..

اسمك، وعمرك، وحالتك الاجتماعية؟ وكم عدد الأطفال وأعمارهم؟ وهل تعملين أم ربة منزل؟

بكل هدوء وثبات أجابت: اسمي أميرة عبدالمجيد، عمري ثلاثون عامًا..

متزوجة منذ ثلاثة أعوام من ابن عمتي فارس عبدالوهاب، ولدينا ابنة، لارا وعمرها عامان.

أكمل دراستي الجامعية حيث أحضر رسالة الماجستير في مجال التقنية المعلوماتية.

كيف كانت علاقتك بزوجة أخيك السيدة سميرة رحمها الله؟ وأرجو منك ذكر الحقيقة كاملة يا سيدتي..

فنحن هنا مهما كان الذي أمامنا متمكن بكذبه، فبكلمة واحدة نستطيع كشفه وبكل سهولة.. كلامي واضح؟

نعم واضح يا سيدي المحقق، ولماذا سأكذب عليك؟ فكل غايتي هي العمل على تبرئة أخي عادل بقول الحقيقة، ولا شيء غيرها.

حسنًا جدًا.. تفضلي أجيبي على السؤال.

علاقتي بزوجة أخي كانت سيئة جدًا..

فكلما رأيت أخي وقسمات الحزن مرتسمة على وجهه أشعر بالغضب والقهر من أجله..

فأخي عادل أطيب وأحن أخ على وجه الأرض.

وكيف علمتِ أن سبب حزنه هو وجود خلاف بينه وبين زوجته؟

من زوجي فارس، فهو كان صديقه المقرب بغض النظر عن كونه زوجي وابن عمتنا..

كان دومًا يأتي إلى منزلي ويجلس معنا ويسهر مع زوجي، وكثيرًا ما يفتح له صدره ويبوح له بمشاكله وخلافاته معها، وخاصة حينما تم فصله من عمله والاستغناء عن خدماته.

سيدي.. لقد قال له بالحرف إنها لم ترحمه ولم تقل له أنا معك أساندك وأدعمك حتى تجد عملًا آخر..

لم تحاول أن تخفف عنه وتهوّن عليه ما يمر به، بل استغلتها فرصة للتقليل من شأنه أمام الجميع وخاصة أبناءه.

حينما أبلغني زوجي ما سمعت من أخي، شعرت بحزن شديد عليه وبكيت مطولًا..

هل هذا جزاء طيبته وتعامله معها بكل تفهم ومحبة طيلة سنين زواجهما؟!

لقد أرخى لها الحبل لتفعل ما تشاء به، فظنت بأن سكوته عنها ضعف منه..

وتجاوزه عن أخطائها التي لا تعد ولا تحصى بعدم استطاعته الاستغناء عنها.

لقد كانت شخصية عديمة الإحساس مليئة بحب الذات والتعالي عليه وعلى عائلته..

حتى والدي ووالدتي لم يسلما منها يا سيدي..

لهذا كنت لا أحب الجلوس بالمكان الذي تكون هي موجودة به نهائيًا؛ حرصًا مني على عدم الاحتكاك بها، أو النزول إلى مستواها بالرد على سلاطة لسانها.

هل هناك موقف معين تتذكرينه لها جعلك تتجنبينها؟

موقف واحد يا سيدي؟ بل مواقف.

سأذكر لك موقفًا منها جعلني أتأكد من صحة كلام أخي عنها وعن تحكمها وتسلطها على غيرها دون أي اعتبار أو احترام لهم.

كانت تستغل غيابي عن منزلي وعدم وجود أحد بالبيت لتدخل وتعبث بأغراضي الشخصية، حتى أنها أخذت من خزانة ملابسي علبة مجوهرات ثمينة تحتوي على طقم من الألماس أهداه لي والدي حفظه الله يوم زواجي..

خبأته جيدًا في أحد أدراج خزانتي بعيدًا عن الأعين والأيدي..

تخيل إلى أي درجة وصلت بها الوقاحة!

ومن سمح لها بالدخول إلى بيتك يا سيدتي؟ وكيف لها القيام بذلك؟

كنت أضع ابنتي لارا لدى والدتي لتهتم بها سعاد وتراعيها حتى عودتي..

وكان لدى سعاد مفتاح احتياطي لشقتي، حتى إذا احتاجت شيئًا لابنتي تستطيع النزول إلى شقتي وإحضاره.

فجاءت إليها سميرة متحججة بأن أخي عادل نسي مفاتيح سيارته لدينا، وبأنه بحاجتها الآن.

حاولت سعاد معها قائلة لها انتظري حتى تتصل بي لتستأذنني..

ولكنها صاحت بوجهها طالبة منها الصمت وقالت لها (أنا آسفة يا سيدي إن قلت كلامها الذي تلفظت به على سعاد).

لا بأس يا سيدتي، تستطيعين قوله أمامنا، تفضلي أكملي.

.. أنتِ مجرد خادمة لدينا، عليكِ السمع والطاعة فقط لا غير.

هل تفهمين يا سارقة الرجال، يا من تتظاهرين بالبراءة أمام الجميع؟ لكن أنا من تعلم جيدًا جدًا حقيقتك المخزية.

شعرت سعاد بالإهانة وبكت بحرقة ورمت لها المفتاح.

سيدي.. سعاد ليست عاملة لدينا، إنها كابنة لوالديّ، يعاملانها بكل محبة وتقدير واحترام..

وهي بالنسبة لي أخت غالية، أستطيع أن أأتمنها على ابنتي الوحيدة..

لم تحترم مشاعرها وإنسانيتها، جعلتها تبكي بحرقة واتصلت بي وشكت لي مما حدث معها..

فهدأت من روعها وقلت لها لا تهتمي لها ولا لكلامها، وأعتذر لك بالنيابة عنا جميعًا.

عدت للبيت على الفور ومع الأسف كانت قد انصرفت، فدخلت إلى غرفتي ووجدتها في حالة يرثى لها وباب خزانتي مفتوح والأدراج كذلك..

حينها اكتشفت فقدان علبة المجوهرات.

وماذا فعلتِ؟ هل واجهتِها بفعلتها تلك؟

نعم يا سيدي، ذهبت إلى منزل أخي عادل وواجهتها بما رأيته واكتشفته بغرفتي..

ولكنها أنكرت ذلك تمامًا، وقالت بأنها دخلت شقتي لأخذ مفاتيح سيارة عادل لأنه هو من طلب منها ذلك.

ثم تهكمت عليّ وقالت لي ساخرة: ولماذا تلقين التهم هنا وهناك؟ انظري إلى من تثقين بها كل الثقة وبيدها كل شيء، مفتاح البيت وابنتك بيدها، وزوجك..

تدخل وتخرج أمامه عادي وكأن البيت ملك لها!

حينها لم أتمالك نفسي فقلت لها: أنت إنسانة غير طبيعية، تحملين كمية من الشر والكراهية بقلبك غير عادية يا سميرة، وتريدين بث حقدك ذلك على الجميع، ولكني لن أسمح لك أن تتطاولي عليّ بعد الآن.

ضحكت بصوت عالٍ وباستهزاء ومشت من أمامي وهي تقول لي متحدية: أعلى ما في خيلك اركبيه عزيزتي، فأنت آخر همي..

سلام يا حلوة!

حسنًا يا سيدة أميرة.. أين كنتِ ساعة مقتل السيدة سميرة؟

صمتت أميرة قليلًا ثم قالت: أرجو يا سيدي أن يبقى ما أقوله هنا بيننا فهو لا علاقة له بالجريمة أبدًا.

تفضلي تكلمي ونحن من نقرر ذلك الأمر يا سيدتي، وأرجو منك ذكر التفاصيل كاملة، فلدينا معلومات مؤكدة بتواجدك بمنزل السيدة سميرة قبل وقوع الجريمة بقليل.

في حوالي الساعة الثامنة والنصف مساء ذهبت إلى منزل أخي وأنا أعلم جيدًا بعدم وجودها فيه.

دققت جرس الباب وفتحت لي حميدة التي تعمل لدى أخي عادل، سألتها عنها فأبلغتني أنها لم تعد حتى ذلك الوقت.

دخلت المنزل وتركتني حميدة وذهبت من أمامي، فدخلت إلى البيت.

بحثت عن أخي عادل ووجدته ممددًا على أريكة غرفة المعيشة، حاولت التحدث معه ولكنه كان مستغرقًا بالنوم ويبدو لي بأنه كان مريضًا لأنه كان يتكلم وهو نائم، اقتربت منه ووضعت يدي على جبهته.

كانت حرارته مرتفعة، حاولت التحدث معه ولكنه لم يجبني..

مما أصابني بالقلق، فخرجت مسرعة إلى منزل أخي عماد وطرقت الباب ولكن لم يجبني أحد.

وفي طريق عودتي سمعت صوت المصعد فاختبأت، فقد شعرت بأنها قد عادت، وبالفعل رأيتها تدخل إلى بيتها، فأسرعت إلى السلم المتجه إلى الدور الأول حيث تقع شقتي وحتى لا تراني..

كانت هذه يا سيدي آخر مرة أراها فيها.

ولماذا لم تبلغيها عن حالة أخيك وبأنه كان مريضًا؟

لم أفضل أبدًا التحدث معها بعد الذي صار بيني وبينها، فالوقت كان متأخرًا وقد تفتعل مشكلة عن كيفية دخولي لبيتها، وعمن سمح لي بذلك، وحديث لا طائل من ورائه إلا الصداع.

هل لمحتِ أو شاهدتِ شيئًا في طريقك لبيتك؟

هناك شيء لفت انتباهي ولكني لم أعره اهتمامًا وقتها يا سيدي.

وما هو ذلك الشيء؟

وأنا عند باب شقتي أحاول فتحه، سمعت صوت خطوات سريعة من خلفي.

شعرت بالرهبة وتملكتني رجفة خوف لا أعلم سببها!

فتحت الباب بسرعة وأغلقته من ورائي، ولكني نظرت من فتحة الباب الصغيرة لأرى من هناك.

فلم أرَ إلا خيالًا يتحرك بسرعة نحو الباب الخاص بالحارس عبده والذي يتصل بالمدخل الخلفي لجميع الشقق.

أجلت النظر لأتأكد ولكن لم أرَ شيئًا، فقلت بنفسي ربما كنت واهمة.

بعدها ذهبت إلى غرفتي حيث وجدت زوجي فارس نائمًا محتضنًا ابنتنا الصغيرة لارا.

نظرت إليهما نائمين في سلام وأمان.

تمددت بجوارهما وتغطيت بغطائي وشعرت بالنعاس..

وبالفعل يا سيدي دخلت بالنوم حتى سمعت صوت سيارة الإسعاف وكذلك الشرطة..

فقمت من نومي فزعة، وجدت زوجي يهمس لي أن أتبعه خارج الغرفة حتى لا تستيقظ الصغيرة.

خرجنا من الغرفة متسائلين ما الذي يحدث؟! وتملكني الخوف أن يكون أصاب والدي أو والدتي شيء -لا قدر الله-.

وكيف علمت بحقيقة الأمر؟

اتصل زوجي أولًا على أخي عادل فلم يجبه، فعاود الاتصال على أخي عماد فأبلغه بالخبر.

ما هو شعورك حين سماعك بما حدث لها؟

شعور غريب سيدي، صدمة، توتر، حزن أن تكون تلك نهاية زوجة أخي..

مهما كانت مشاعري نحوها أو كراهيتي لشخصيتها وتصرفاتها..

تبقى أم أبنائه.

فكرت بالصغار، ما الذي سيحل بهم؟

وخاصة أصغرهم منير كان متعلقًا بها كثيرًا..

وحينها بكيت يا سيدي من كل قلبي حزنًا وكمدًا وقهرًا عليها وغيظًا ممن فعل فعلته البشعة تلك!

وتذكرت ما سمعته ورأيته حينما كنت أمام باب منزلي..

وارتعشت من الخوف والرعب، فقد تيقنت حينها أنه ليس وهمًا أو خيالًا..

بل كان هو القاتل من مر خلفي مسرع الخُطا.

وهنا انهارت أميرة بالبكاء لإعادتها تذكر الموقف..

وكيف أنها كانت الأقرب للقاتل من أي شخص آخر بالمبنى.

هدئي من روعك يا سيدتي، قد يكون ما رأيته وهمًا وقد يكون غير ذلك.

دعي الأمر لنا فسنتحقق من صحة كلامك، ولا ترتاعي ولا تقلقي.

سؤال أخير: أين كنتِ وزوجك ما بين الساعة السابعة إلى التاسعة صباح هذا اليوم؟

كنا بصحبة ابنتنا لارا حيث كانت تعاني من ارتفاع بدرجة حرارتها وانسداد بالأنف منذ ليلة البارحة..

فذهبنا بها إلى طوارئ المستشفى القريب منا، ونصحنا الطبيب المناوب بإبقائها تحت الملاحظة حتى تستقر درجة حرارتها وتعود إلى طبيعتها.

وبالفعل بقينا هناك حتى الساعة التاسعة صباح اليوم، بعدها صرح لها الطبيب بالخروج فعدنا إلى البيت وبلغني والدي بالخبر المؤلم والمفجع.

حسنًا يا سيدتي.. رجاء وقعي على محضر أقوالك، وإن تذكرتِ شيئًا تعتقدين بأنه قد فاتك قوله أو ملاحظة نسيتِ ذكرها، أبلغينا على الفور..

كما أرجو منك عدم ذكر أي شيء مما قلته بالتحقيق لأي كان، وذلك لمصلحة القضية.. شكرًا لك.

تفضلي تستطيعين الانصراف الآن.

وكما دخلت بكل ثقة وهدوء، خرجت وهي لا تلتفت وراءها، وأغلقت الباب من خلفها.

وحينما عم الصمت المكان نظر المحقق أسعد إلى المحقق حسن وقال له: ماذا سبق وأن قلت لك؟ هل

تأكدت الآن من صحة توقعاتي يا حسن؟

لا أعلم ماذا أقول، ولكني كلما تعمقت بإفادة كل واحدة ممن تم التحقيق معهن، أكتشف مدى كراهيتها للقتيلة سميرة ومحبتها لسعاد.

كل واحدة منهن لديها الدافع القوي لارتكاب الجريمة، ولديهن بنفس الوقت ما يثبت بُعدهن عن مسرح الجريمة.

لا تقلق يا حسن فقد اقتربنا من معرفة وكشف وجه القاتل الحقيقي، هي مسألة وقت بسيط، عليك التحلي بالصبر.

الآن استدعِ السيد فارس زوج السيدة أميرة على الفور وبدون أي تأخير..

فهو لم يتم استجوابه المرة الأولى، وأشعر بأن لديه ما سيشبع فضولي ويضع النقاط فوق الحروف.

في الحال يا سيدي.

وانصرف المحقق حسن مسرعًا ليحضر الشاهد المطلوب.

قام المحقق أسعد من مكانه وأخذ يمشي حول الغرفة محاولًا التركيز وربط الأحداث بعضها ببعض..

مما يتضح له بأن الأدلة في الجريمة الأولى تشير إلى المتهم الأول عادل، بصماته، تواجده بنفس المكان إلى جوار جثة القتيلة..

وهو بالتوقيف منذ ذاك الحين، حسنًا ما علاقته إذن بالجريمة الثانية؟

هل له شريك بالجريمة الأولى يحاول أن يبعد عنه الشبهات؟

شيء محير جدًا!

قاتل أم قاتلان؟ متعاونان سويًا لإنهاء ما بدأه أحدهما؟

لا بد من العمل على كشف الحقيقة بأسرع وقت ممكن، فكل ما يخشاه أن تتطور الأمور وتصبح خارج السيطرة..

ومهمته أن يمنع حدوث ذلك بكل ما يستطيع، ولن يسمح أن تقع جريمة أخرى إطلاقًا مهما كلف الأمر.

ما يثير قلقه هو ذاك الظل الذي رأته أميرة يمر مسرعًا من خلفها، هل كانت تقول الحقيقة، أم تحاول التغطية على شخص ما قريب منها وتخشى عليه أن يكون ضمن دائرة المتهمين؟!

كل تلك التساؤلات لا بد أن يجد لها إجابة، محاولًا كل جهده الربط بينها وبين ما رآه وسمعه.

وبينما هو غارق بتفكيره، سمع طرقًا على الباب ثم دخل المحقق حسن ليبلغه بوجود فارس زوج أميرة ليدلي بأقواله.

دعه يتفضل بالدخول على الفور.

جلس المحقق أسعد بمكانه خلف المكتب استعدادًا للبدء بالاستجواب.

دخل إلى الغرفة شاب طويل القامة، يبدو لمن يراه بأنه رياضي البنية، مفتول العضلات.

تتميز ملامحه بالوسامة، أصلع الرأس وذو لحية سوداء كثيفة.

أشار له المحقق أسعد بالجلوس أمامه، فجلس بكل ثبات وهدوء.

اسمك وعمرك والحالة الاجتماعية ووظيفتك الحالية.

اسمي فارس عبدالوهاب، عمري ثلاثة وثلاثون عامًا، متزوج منذ ثلاثة أعوام من ابنة عمتي السيدة أميرة عبدالمجيد، ولنا طفلة عمرها عامان.

أعمل مديرًا لقسم الموارد البشرية بشركة الاستثمارات العالمية منذ نحو ثلاث سنوات.

حسنًا.. أين كنت يوم مقتل السيدة سميرة؟

كنت نائمًا في فراشي مع ابنتي الرضيعة لارا، فكما تعلم يا سيدي بأننا لا نستطيع الخروج من المنزل بعد الساعة الثالثة عصرًا، حيث تبدأ ساعات الحظر حتى الساعة السادسة فجرًا.

فضلًا.. اذكر لي تفاصيل ذلك اليوم وبكل دقة.

عدت من عملي تمام الساعة الثالثة، تناولت طعام الغداء مع زوجتي وعمتي وزوج عمتي..

وبقيت أنا وزوجتي وابنتي لديهم نتسامر، فأنا أعتبر والد ووالدة زوجتي بمقام والديّ وأرتاح بالتواجد معهم.

وإلى متى بقيت معهم؟ حدد الوقت.

بقيت حتى صلاة العشاء، حيث أديت الصلاة جماعة مع عمي عبدالمجيد.

بعدها طلبت مني زوجتي أميرة اصطحاب ابنتنا لارا إلى البيت فقد كان موعد نومها.

ولماذا لم تصطحبها والدتها بدلًا عنك يا سيد فارس؟

لأنها أرادت البقاء قليلًا مع والدتها، ولم أخالفها فأنا وهي واحد في مسألة الرعاية والاهتمام بابنتنا.

حسنًا.. هل هناك من رآك وأنت تغادر إلى منزلك، وكم كانت الساعة حينها؟

كانت الساعة تقترب تقريبًا من الثامنة والنصف، رآني الجميع: عمي والد زوجتي وعمتي وزوجتي وزوجة أخي الدكتور عماد..

حتى أنها كانت معي بالمصعد المتجه إلى شقتها وكذلك شقتي.

هل كانت بمفردها أم بصحبة أحد من أفراد العائلة؟

نعم، كانت بصحبة ابنتيها منى وسلوى.

حسنًا.. أكمل أين كنت ما بين الساعة التاسعة والنصف والعاشرة والنصف مساء مقتل السيدة سميرة؟

أرجو منك أن تكون دقيقًا جدًا بإجابتك.

بعد مغادرتي لمنزل عمي عبدالمجيد توجهت إلى شقتي الكائنة بالطابق الأول، ومعي كما سبق أن قلت لكم ابنتي الصغيرة لارا والتي كان يغالبها النوم، وضعتها بسريرها وتأكدت من أنها خلدت بالفعل إلى النوم.

كانت الساعة حينها حوالي الساعة التاسعة مساء، جلست أمام التلفاز لمتابعة نشرة الأخبار وأنتظر عودة زوجتي، فقد شعرت بالجوع ولم يكن لديّ طاقة للقيام بتجهيز طعام لي.

وبينما أنا في تلك الحالة من الكسل إذ سمعت صوت رنين هاتفي المحمول وأجبت الاتصال فقد كان صديقي عبدالله، أخذنا نتحدث حتى تقريبًا الساعة التاسعة والنصف أو التاسعة وخمس وأربعين دقيقة، لا أتذكر الوقت تمامًا.

ثم اضطررت أن أنهي المكالمة، فقد سمعت صوت بكاء ابنتي فأسرعت إليها واصطحبتها معي إلى غرفة نومي فقد بدأ يغالبني النعاس والشعور برغبة بالنوم..

وبالفعل نامت هي حبيبتي وبعدها لم أشعر بما حولي.

فضلًا رقم هاتف صديقك واسمه بالكامل.

تفضل يا سيدي، هذا هاتفي المحمول وستجد بقائمة المكالمات، اسمه ورقمه والوقت الذي اتصل به علي والمدة التي قضيتها بالتحدث معه.

أخذ منه المحقق حسن الهاتف ووضعه إلى جانبه حتى الانتهاء من أخذ أقواله.

وماذا عن علاقتك بالسيدة سميرة رحمها الله؟

صمت فارس ولم يجب عن السؤال، فقد أطرق برأسه مطولًا وقد بدت على ملامحه معالم التوتر والانزعاج.

ثم أجاب وهو يحاول قدر استطاعته التحكم بنبرة صوته: كنت أتجنب الاحتكاك بها أو التواصل المباشر معها، فقد كانت سببًا للعديد من المشاكل بيني وبين زوجتي.

ولمَ ذلك يا سيد فارس؟ وأرجو منك ذكر كامل التفاصيل، أيا كانت ومهما كنت تعتقد بأنها غير مهمة.

نعم يا سيدي بالطبع، سأقول كل ما أعرفه وأتذكره ولن أخفي عنكم شيئًا.

كانت سميرة كلما وقع بينها وبين زوجها عادل أي مشكلة تتصل بي لكوني صديقًا مقربًا منه، ولا يخفي عني شيئًا، سواء كان يتعلق بالعمل أو بحياته الشخصية..

فقد كان عادل يأتمنني على أسراره.

كنت بالبداية أحاول التوسط وتقريب وجهات النظر بينهما..

ولكنها مع الأسف أصبحت تتصل بأوقات غير مناسبة على الإطلاق

كالساعة الواحدة بعد منتصف الليل، ثم إن لم أرد عليها ترسل لي رسائل على تطبيق الواتس.

لم يكن يهمها إحراجي مع زوجتي وأهم شيء مع زوجها.

مكالمات مستمرة ومزعجة، شعرت بتعمدها فعل ذلك للإيقاع بيني وبين أميرة.

ثارت زوجتي وغضبت مني، وتسببت بمشكلة كبيرة بيننا، كادت أن تؤدي إلى الطلاق لولا لطف الله بنا..

واتهمتني أميرة بأنني السبب في ذلك.

وكيف تكون أنت السبب يا سيد فارس؟ أرجو منك التوضيح.

تتهمني بأنني سبب اتصالاتها الدائمة، كوني أستمع إليها وأحاول جاهدًا تهدئتها وحل المشكلة التي تواجهها بهدوء وتعقل..

وحينما وجدت بأن ذلك يزعج أميرة، امتنعت تمامًا عن الرد عليها مفعلًا خاصية الحظر لرقمها..

فمصلحة بيتي وأسرتي أولًا وقبل كل شيء، فلا يكون استماعي لها على حساب راحتي ووقتي.

حسنًا.. وهل تقبلت الأمر وتوقفت عن الاتصال بك؟

لا يا سيدي، بل أصابها الجنون، وبدأت بتحريض زوجها عادل علينا، وافتعال مشاكل لا وجود ولا صحة لها..

بل وصل بها الأمر إلى منعه من التواجد في بيتنا والسهر معي نهاية الأسبوع كعادته..

وإن حاول مخالفتها تأتي بنفسها إلى بيتنا وتتطاول عليه أمامنا، قائلة له إن لم ينتهِ عن زيارتنا والجلوس بصحبتي، فستترك له البيت والصغار..

وعليه الاختيار إما هي أو أنا وزوجتي.

إنسانة بالفعل محبة للمشاكل، تسببت بتحطيم زوجها عادل نفسيًا ومعنويًا..

فقد جعلته يتحول من شخص مرح محب للحياة، إلى شخص حزين ومكتئب، يحمل هموم العالم فوق كتفيه.

ومتى كانت آخر مرة رأيتها فيه يا سيد فارس؟

قبل الحادث بثلاثة أيام تقريبًا..

فكما سبق وذكرت بأن عادل كان موجودًا ببيتي نتسامر معًا، فإذا بها تدخل علينا دون استئذان متهجمة عليّ وعلى زوجها..

مما اضطر عادل إلى سحبها من يدها والاعتذار لي، ثم خرجا سويًا وصوت شجارهما سمعه كل من في المبنى.

كانت هذه آخر مرة أراها فيها يا سيدي.

حسنًا يا سيد فارس، أين كنت اليوم ما بين الساعة السادسة إلى الثامنة والنصف صباحًا.

ليلة البارحة ارتفعت حرارة ابنتي فأسرعت بها مع والدتها إلى طوارئ المستشفى الواقع بجوار المنزل..

نصحنا الطبيب المشرف على حالتها ببقائها تحت الملاحظة حتى تنخفض درجة حرارتها وعمل الفحوصات اللازمة حرصًا على سلامتها..

فكما تعلم يا سيدي، ارتفاع درجة الحرارة هذه الأيام يعتبر عارضًا محتملًا بفايروس تلك الحمى والعياذ بالله.

وبقيت أنا وزوجتي بصحبتها طيلة ليلة البارحة حتى انخفضت حرارتها ولله الحمد، وظهرت نتيجة الفحص سلبية.

حينما سمح لها الطبيب بالخروج وكان ذلك حوالي الساعة التاسعة إلى التاسعة والنصف، عدنا إلى البيت بعد ليلة متعبة ومرهقة.

لنتفاجأ بسيارة الشرطة والإسعاف أمام المبنى، وطُلب منا البقاء بمنازلنا حتى يتم استدعاؤنا.

ما رأيك في الآنسة سعاد؟ وكيف كانت علاقتك بها؟

فتاة طيبة جدًا وحنونة ومحبة للجميع، يكفي بأنني وزوجتي كنا نأتمنها على ابنتنا، أغلى شيء بحياتنا.

إن كنت ضدمت بمقتل سميرة وحزني على ما جرى بعدها لعادل وأبنائه..

والله يا سيدي حزني على سعاد أكثر لأنها يتيمة ولا عائلة لها إلا نحن.

المؤلم وما يحز بنفسي، أن الجريمة الأولى بشعة رغم كل شيء.

أما الثانية فمن فعلها شخص بلا ضمير ولا يعرف قلبه الرحمة، وأدعو الله أن يكشفه لنا وينال جزاءه على فظاعة ما ارتكبه.

هل لديك أقوال أخرى يا سيد فارس؟

لا يا سيدي المحقق.

حسنًا.. وقع هنا على إفادتك، وأرجو منك حرصًا على سلامتكم جميعًا، عدم الإفصاح بمجريات التحقيق..

وإن تذكرت شيئًا يتعلق بالقضية، أبلغنا به على الفور.

شكرًا لك.. تستطيع الانصراف الآن.

خرج فارس بهدوء وثقة كما دخل تمامًا.

تبادل المحقق حسن النظرات مع المحقق أسعد والحيرة تبدو على ملامحه، منتظرًا منه التعليق على إفادة فارس.

ولكن المحقق أسعد تبسم وهو يقول له: الآن حان دور السائق صبري، وهذا هو مفتاح القضية، اذهب وأسرع بإحضاره، رغم أنني أعتقد بأنك لن تجده.

ماذا؟! ما الذي تقوله يا أسعد؟! كيف لن نجده.. معقول هذا؟!

سأذهب وأبحث عنه وأحضره على الفور، لقد أكدت عليه صباحًا بانتظار دوره للإدلاء بأقواله، ورجال الشرطة يحرسون مدخل ومخرج المبنى، فأين سيذهب بالله عليك؟

حسنًا هيا يا حسن فأنا بانتظاره.

وانصرف المحقق حسن مسرعًا وهو يكاد يجن من الكلام الذي سمعه.

أمسك المحقق أسعد بمحضر التحقيق وبدأ يقلب في الأوراق ويراجع إفادة كل من تم التحقيق معهم، وبالقلم الأحمر يضع خطوطًا تحت كل ما جذب انتباهه وأثار فضوله.

هناك أكثر من شخص واحد تدور حولهم الشكوك وتشير إليهم أصابع الاتهام..

وقريبًا سيضع يده على المتهم الأول.

جلس على مقعده مترقبًا عودة المحقق حسن.

بينما هو يمعن متعمقًا بأفكاره ما بين الأوراق، ترددت أمامه مشاهد متكررة لم تغادر تفكيره وشكوكه.

باب المبنى، لماذا تُرك مفتوحًا على مصراعيه؟! لم تكن صدفة أبدًا.

آثار الحذاء على عتبة الباب الخلفي لمسكن الشيخ عبدالمجيد.

من هو الرجل الذي خرج من المبنى مسرعًا ليلة وقوع الجريمة الأولى؟

ومن هو صاحب الظل الأسود خلف السيدة أميرة؟ هل هو نفس الشخص الذي يبحثون عنه؟

قاطع تفكيره قرع الباب بقوة، ثم دخل المحقق حسن وقد احمر وجهه محاولًا السيطرة على أنفاسه المتسارعة.

ما بك يا حسن؟ تكلم.

لقد اختفى السائق صبري يا سيدي، رغم الحراسة المشددة.

ذهبت إلى غرفته ومعي الشرطي الواقف أمام مدخل المبنى الرئيسي، وجدنا باب غرفته مفتوحًا على مصراعيه ولا أثر له، سألنا الحارس عنه، قال بأنه لا يعلم عنه شيئًا..

فقد التزم بتعليماتنا بالبقاء بغرفته وعدم الخروج منها.

كيف استطاع الهروب يا حسن؟! هذا اسمه تسيب واستهتار.

لقد نبهت على رجالنا بعدم التحرك من أماكنهم على الإطلاق، وعدم السماح لأي من السكان بالخروج إلا بعد الرجوع إليّ.

هذا ما توقعته وقلته لك سابقًا، إحساسي لا يخيب يا حسن.

لقد تعمدت جعله آخر من يدلي بإفادته لشعوري بأنه مفتاح السر لهذه القضية.

أجابه المحقق حسن: وما العمل الآن يا سيدي؟

لا بد من تغيير طاقم الحراسة كاملًا ومعاقبتهم على إهمالهم وعدم الالتزام بالتعليمات، والتحقيق معهم جراء ما حصل.

هيا بنا الآن لنفتش غرفته، ربما نجد بها ما يدلنا على سبب هروبه.

وأجزم لك بأننا سنجد الكثير، بل وأكثرمما نتوقعه.

وخرج مسرعًا يرافقه المحقق حسن ودخلا المصعد الخاص بالسيد عبدالمجيد والذي يتجه مباشرة إلى الطابق الأرضي.

وصل المصعد، وتقدم المحقق حسن ليفتح الباب أمام المحقق أسعد الذي خرج منه ركضًا، وهو ينظر حول المكان متفقدًا كالليث ينتظر وقوع الفريسة.

اتجه مباشرة إلى غرفة السائق صبري، وجد شرطيًا واقفًا أمامها، وحين رأى المحقق أسعد مقبلًا رفع يده بالتحية وتراجع للخلف ليسمح له بالدخول.

دخل المحقق أسعد الغرفة الصغيرة، لكن رغم ذلك كان بها كل وسائل الترفيه، من تلفاز وهاتف خاص، وسرير مريح، وخزانة ملابس.

أخذ المحقق أسعد يتفحص كل ما تقع عينه عليه.

لاحظ وجود زجاجة عطر فاخرة وضعت على طاولة صغيرة بجوار السرير، فتح غطاءها ثم شم رائحتها، بعد ذلك ناولها للمحقق حسن طالبًا منه حملها.

سأله بعدها: بماذا تذكرك رائحة هذا العطر يا حسن؟

لا أعلم يا سيدي، الرائحة جميلة ونفاذة.

حقًا إنها رائحة نفاذة لا تنسى أبدًا، ومن مميزات هذا العطر أنه يبقى لمدة طويلة، خاصة لو تم وضعه على الملابس أو الأوراق كذكرى، هاه.. فهمت يا حسن ما الذي أرمي إليه؟

نظر المحقق حسن إليه وعيناه متسعتان وهو يقول له: نعم، ما بين أوراق دفتر اليوميات الخاص بسعاد.

هذا العطر يا حسن غالي الثمن جدًا، فكيف لسائق ذي راتب بسيط الإمكانيات شراء قارورة العطر هذه؟!

ربما جاءته كهدية.. أجابه المحقق حسن.

ولكن يا حسن حتى سعاد لا تملك المال الكافي لشراء مثل هذا العطر، وكما قلت أنت، ربما كانت هدية من أحدهم.

ساد صمت ما بينهما، وتابع المحقق حسن، المحقق أسعد وهو يفتح باب خزانة صغيرة ويتفحص كل شيء بها.

أمسك بعلبة دواء صغيرة الحجم، نظر إليها مليًا ثم سلمها للمحقق حسن قائلًا له: منوم.

لماذا يحتاج شخص يعمل كسائق لدى عائلة لهذا المنوم الذي سيؤثر على تركيزه ويجعله يشعر بالتعب والإرهاق؟!

شيء محير ومثير للقلق، هل علبة الدواء هذه خاصة به أم بشخص آخر؟!

أوراق مبعثرة، وأخرى ضفت على شكل رسائل، كان أغلبها من زوجة السائق صبري، تحثه فيها على الصبر والاجتهاد من أجل إكمال تعليم الأبناء.

توقف المحقق أسعد عند رسالة تقول فيها: «احذر يا عزيزي وانتبه، ولا تقحم نفسك فيما لا يعنيك، مهما رأيت من أمور لا تعجبك، لا شأن لك بها..

ركز على عملك فقط وابتعد عن غيره.

إن رأيته مع سعاد التي تعمل لدى صاحب عملك، فذلك شيء لا يعنيك على الإطلاق.

أرجوك يا زوجي الحبيب، أنت أهم شيء بحياتنا.

إن تكلمت مع أي كان سيكذبونك ويصدقونه، كلمتك ضد كلمته..

فلا تخسر عملك ومستقبل أولادك.

طلبت نصيحتي فاستمع لها، ودع عنك الفضول والتدخل فيما لا يعنيك ولا يخصك، من قريب أو بعيد.

حينما يُفتح الطريق وتعود الأمور كما كانت ويُسمح بالسفر، عد إلينا في أول رحلة، لترتاح وتكون وسط عائلتك.

حفظك الله ورعاك يا أغلى ما في حياتي.

زوجتك المحبة لك... أم محمد».

رسالة مهمة جدًا يا حسن احتفظ بها وبباقي الرسائل.

كما أريد منك إصدار الأوامر لفريق البحث الجنائي بالحضور على الفور والقيام برفع البصمات من هنا ومن غرفة الحارس أيضًا..

ومنع دخول أي شخص كائن من كان إلى هذه الغرفة.

وكذلك إعادة أخذ بصمات جميع أفراد العائلة من رجال ونساء.

وخرج من الغرفة ومشى بخطوات بطيئة جيئة وذهابًا أمام المدخل متأملًا المبنى وهو صامت.

كلما حاول المحقق حسن التحدث معه أو سؤاله عما يفكر به، أشار إليه بيده أن يلتزم الصمت.

وبينما هو يرجع للخلف حتى يكون المبنى كاملًا تحت محط أنظاره..

سمع صوتًا ينادي عليه وبإصرار وصوت الشرطي وهو يسأل صاحب الصوت: ما الذي تريده من المحقق يا بني؟

التفت المحقق أسعد لمصدر الصوت ليجد صبيًا لا يتجاوز الثانية أو الثالثة عشرة من عمره.

اتجه إليه متسائلًا: هل تريد التحدث معي يا بني؟

نعم يا سيدي أرجوك.

حسنًا دعه أيها الشرطي ولا تعترض طريقه رجاءً.

تعالَ يا بني لا تخف، فقط قل لي أولًا من أنت وما اسمك.

أنا موفق عادل عبدالمجيد.

أرجوك يا سيدي، والدي لم يفعل شيئًا يستحق عليه السجن، أرجوك هو بريء، بريء.

حسنًا يا بني لا تقلق من ذلك، فنحن نتحقق من الأمر.

إن كان بريئًا كما تقول، تأكد بأننا سنطلق سراحه ليعود إليكم.

أنا متأكد من براءته يا سيدي، فقد كان والدي يومها نائمًا على الأريكة بغرفة الجلوس.

وهل هذا العذر الوحيد لتبرئته يا موفق؟

لا يا سيدي، فقد كان والدي مريضًا ويشعر بأنه ليس بخير، وقد طلب من أخي ميسر إحضار كوب ماء وحبة دواء خاصة بالصداع وخفض الحرارة..

فكيف باستطاعة شخص مريض وحرارته مرتفعة جدًا القيام بجريمة قتل؟! قتل زوجته، أمنا، حياتنا وروحنا وكل شيء بالنسبة لنا!

صدقني يا سيدي، هو لن يجرؤ على فعل ذلك من أجلنا، وحرصًا على مشاعرنا.

والدي يا سيدي كان رجلًا محبًا وعطوفًا وحنونًا، لا يستطيع أن يرفض لأي واحد منا طلبًا، ولا يستطيع أذية حتى نملة صغيرة.

الأب الذي بمقدوره تحمل كل مصاعب الدنيا في سبيل راحتنا وسعادتنا، كيف له أن يفكر بحرماننا من أمنا؟! مستحيل.

حسنًا يا بني، أعجبني كثيرًا دفاعك عن والدك وحبك الشديد له، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على حسن تربيته لك.

أتوقع بأنك ستكون يومًا محاميًا بارعًا وماهرًا في عمله إن شاء الله.

شكرًا لك يا سيدي، هل ستطلق سراحه؟

إن شاء الله يا بني، فقط دعنا ننتهِ من التحقيق.

عد أنت إلى منزلك ولا تحمل همًا، فنحن نعمل كل ما في وسعنا للوصول للحقيقة.

أريد منك طلبًا يا سيدي، بل هو رجاء.

تفضل يا بني قل لي ماذا تريد؟

أريد تحقيق العدالة لأمي بالكشف عن القاتل، الفاعل الحقيقي، من قام بحرماني أنا وإخواني منها.

كما أريد تبرئة أبي من تلك التهم التي ألصقت به، فلم يكتفِ القاتل بحرماننا من أمي بل وأبي أيضًا.

ولم ينتظر موفق الإجابة عليه، بل غادر مسرعًا وهو يغالب دموعه حرصًا منه على عدم رؤية المحقق لها.

حقًا إنه صبي شجاع وجريء، لقد أثار إعجابي به وبأسلوبه بالحديث الذي يسبق عمره بكثير.

لكن ألم تلاحظ بكلامه يا حسن جملة سمعناها من قبل ترددت على لسان إحدى الشاهدات ولم نعرها اهتمامًا؛ ظنًا منا بأنها محاولة منها للتغطية وإبعاد الشبهات عن المتهم الأول عادل؟

نعم يا سيدي، أظنها السيدة أميرة أخت المتهم عادل، حينما قالت بأنها وجدته نائمًا على الأريكة ويبدو عليه المرض..

وحين اقتربت منه ووضعت يدها على جبهته، كانت حرارته مرتفعة وهو يهذي بسببها.

رد عليه المحقق أسعد: نعم، إن قالها ابنه واصفًا حالة والده تلك الليلة، فذلك تأكيد على أن كلام السيدة أميرة صحيح ولا شك به..

كيف لرجل محموم أضعفته وأنهكته الحمى يستطيع خنق زوجته حتى الموت؟! لربما من هلوسة الحمى.

لكنه سيحتاج إلى كفين قويين لكي يجهز عليها، وهذا شيء مستبعد كليًا في مثل حالته.

شيء محير جدًا يا سيدي!

نعم يا حسن، ولكني بدأت أرى معالم القاتل أمامي الآن، وتتجمع صورته في ذهني.

هيا بنا، أريد أن آخذ جولة سيرًا على الأقدام حول المبنى والبنايات القريبة منه..

لربما نعثر على شيء يفيدنا أو يدلنا إلى مفتاح هذه القضية الشائكة.

تبعه المحقق حسن بصمت، فلا فائدة من التساؤل، فهو يعلم كل العلم بأن صديقه ومعلمه الأول المحقق أسعد، ذو عقل وتفكير يبهر كل من يعمل معه..

فقد عرف عنه حدة ذكائه التي تجعل منه نابغة في مجال عمله.

ولهذا لن يقاطع تفكيره ويزعجه بأسئلته، بل سيتبعه محاولًا البحث عن أي دليل يقودهم إلى القاتل.

مشيا سويًا، وعند كل بناية يتوقف المحقق أسعد ويقترب منها متأملًا ثم يتحدث مع الحارس المسؤول عنها..

مستفسرًا منه عن رؤيته للسائق صبري ومدى معرفته به.

وتكون الإجابة بالنفي، واستمرا بالسير حتى كادا يبلغان نهاية الشارع المتفرع من المبنى الرئيسي للشيخ عبدالمجيد.

استمر المحقق أسعد بالبحث والتدقيق، واستجواب كل من يقابلهم من حراس الأمن.

وحينما كانا يتجاوزن الشارع ليعودا عبر الطريق المقابل، إذ سمعا صرخة عالية خلفهما.

نظرا فإذا شابة تبدو بالعشرين من عمرها تصرخ رعبًا وفزعًا، وهي تشير إلى ممر صغير أسفل بناية ما زالت تحت الإنشاء.

ركض كل من المحقق أسعد وحسن إلى حيث الشابة مستفسرين عن سبب صراخها.

أشارت وهي ترتجف رعبًا إلى شخص ملقى على وجهه والدماء تخرج من خلف رأسه، ويبدو كأنه قد فارق الحياة.

اقترب المحقق أسعد منه وأدار وجهه ليتعرف على هويته، ليكتشف بأنه السائق صبري، لكنه كان ما يزال حيًا، رغم أن تنفسه كان بطيئًا ولا يكاد يُلحظ.

كانت إصابته برأسه، وعلى ما يبدو أنه تلقى ضربة قوية على مؤخرة رأسه بآلة حادة، تسببت بنزفه لتلك الدماء الغزيرة التي كانت تنهمر منه.

اتصل بالإسعاف على الفور يا حسن ولا تدع أحدًا يقترب من الموقع، حتى وصول سيارة الإسعاف.

ثم التفت إلى الشابة التي اكتشفت الضحية قائلًا لها: وأنتِ يا آنستي عرفيني بنفسك وكيف اكتشفتِ المغدور؟

اسمي مي محمود، وأسكن في المبنى المقابل لهذه البناية.

من عاداتي اليومية التي لا أتخلى عنها، رياضة المشي لمدة ساعة كل يوم بنفس الموعد، آخذ هذا الشارع نصف ساعة ذهابًا ونصف ساعة إيابًا.

واليوم وفي طريق عودتي، وحينما اقتربت من هذا المكان سمعت صوتًا غريبًا، لم أعرف ما هو هذا الصوت ومن أين مصدره، تعجبت من ذلك..

فالبناية تحت الإنشاء، ولا يوجد بها أحد، وقد انتهى وقت الدوام،

وانصرف غالب العمال.

أصابتني الدهشة وتملكني الخوف!

وحين اقتربت أكثر من مصدر الصوت وجدت هذا الرجل ملقى على الأرض والدماء تنهمر من مؤخرة رأسه.

شعرت بالفزع الشديد ودارت الدنيا من حولي، فصرخت بأعلى صوتي مما رأيت من منظر يدمي القلب.

حسنًا يا آنستي.. هل هذه المرة الأولى التي ترين بها هذا الشخص؟

لا أعرف يا سيدي، حينما أدرت وجهه بدا وكأنه مألوف لديّ.

هل توضحين لي لماذا بدا لك مألوفًا؟

نعم يا سيدي..

في طريقي يوميًا أرى الكثير من الناس العابرين والقادمين من هذا الطريق..

هذا الوجه رأيته أكثر من مرة خلال اليومين السابقين.

وهل كان وحيدًا أم كان بصحبة أحد؟

أعتقد كان برفقته شاب طويل القامة، لا أتذكر ملامحه كثيرًا لأنه كان يرتدي الملابس الرياضية ويضع فوق رأسه قبعة تكاد تخفي ملامح وجهه..

كان أكثر شيء لفت انتباهي وأثار إعجابي يا سيدي هي رائحة عطر قوية ونفاذة وجميلة ومميزة جدًا، تجعلك تلتفت لتبحث عن صاحبها.

عطر راحته نفاذة تقولين؟ جيد جدًا.

حسنًا يا آنستي.. لنغد إلى اكتشافك للضحية، ألم يلفت انتباهك أي شيء غير اعتيادي غير صوته وهو يتألم؟

صمتت قليلًا وهي تحاول التركيز ثم قالت: نعم، حين اقتربت من هذا المكان، أو قبله بقليل، رأيت سيارة مسرعة جدًا وكأنما خرجت من المكان الذي وجدت به الضحية كما تقول.

من سرعتها كاد سائقها يصطدم بي، ولكنه تفادني بأعجوبة..

مما جعله يصطدم بصندوق القمامة هناك يا سيدي، وأشارت إلى صندوق لونه رمادي كبير الحجم، خُصص لإلقاء القمامة به.

هل تستطيعين وصف السيارة لنا؟ وهل استطعتِ تسجيل رقمها؟

كان السائق مسرعًا جدًا يا سيدي، فلم أستطع التعرف على ملامحه.

أما السيارة فكان لونها فضي لامع، سيارة عائلية كبيرة، ولا أعلم نوع شركتها فلست ماهرة بتلك الأمور..

لكني أتذكر الرقمين الأولين من اليسار، كانا رقم ٧٨ نعم، أتذكر جيدًا هذين الرقمين.

جيد جدًا يا سيدتي، هل هناك شيء آخر تودين الإدلاء به؟

لا يا سيدي، هذا كل ما هنالك.

حسنًا.. تستطيعين الانصراف بعد أن تتركي رقم هاتفك وعنوانك لدى المحقق حسن لنتواصل معك ونسجل إفادتك بمحضر التحقيق.

أجابته في عجلة: شكرًا لك يا سيدي.

وانصرفت بعد أن تركت بطاقة بها اسمها ورقم الهاتف الخاص بها وهي تتلفت حولها خوفًا، ثم مشت مسرعة لا تلوي على شيء.

بعد انصرافها، وصلت سيارة الإسعاف وتم حمل المصاب إلى داخلها على وجه السرعة، وقف المحقق حسن مع الطبيب الذي قام بفحص المجني عليه وقال للطبيب: كيف حاله؟

أجابه الطبيب: حالته خطرة، ضغطه منخفض، والنبض بطيء نتيجة فقده الكثير من الدماء..

ولا بد من وضعه بغرفة العناية المشددة حال وصولنا إلى المستشفى.

أجابه المحقق أسعد: حسنًا أيها الطبيب افعل ما في استطاعتك لمساعدته.

لكن أرجو منك منع الزيارة عنه نهائيًا، وعدم السماح بالدخول إلى غرفته على الإطلاق، فقط الكادر الطبي..

وسأرسل لك حراسة مشددة، للحرص على إبعاد أي متطفل عن الوصول إليه.

والرجاء الاتصال بي على الفور في حال تحسن حالته الصحية.

تحركت سيارة الإسعاف مسرعة وتابعها المحقق حسن حتى غابت عن ناظريه.

حسن.. اتصل بفرقة البحث الجنائي واطلب منهم الحضور إلى هذا الموقع على الفور، وسأكون في انتظارهم.

أمرك سيدي.

تحرك المحقق أسعد باتجاه المكان الذي وجد فيه السائق صبري وجال ببصره فيما حوله.

لفت انتباهه بقعة صغيرة من الدماء تجمعت وتشكلت على شكل مقدمة حذاء.

لم يكن الأثر واضحًا، فعلى ما يبدو بأن الجاني كان حريصًا على عدم ترك ورائه ما يدل عليه.

لكنه مع ارتباكه وخوفه من اكتشاف أمره أسرع هاربًا من المكان دون أن ينظر خلفه..

فالوقت كان ما يزال مبكرًا والشمس لم تغرب بعد.

واضح من الآثار بالمكان بأن هناك صراعًا دار ما بين الجاني والضحية، وبأن هناك معركة باليد فيما بينهما.

ولكن على ما يبدو أن القاتل فاجأه بضربة قوية على رأسه بينما هو يحاول القيام من سقوطه على الأرض.

لكن بماذا تم ضربه؟ لا بد من معرفة الأداة المستخدمة في ذلك.

دار حول مكان بقعة الدم ثم مشى باتجاه سلة قمامة موضوعة بالجوار.

اقترب منها متفحصًا كل زاوية منها، ولفت انتباهه بأن في داخلها حجرًا لونه رصاصي باهت، يبدو بأنه يستخدم في البناء.

وأخرج منديلًا من جيبه ولف به الحجر والتقطه بكل حرص، هناك آثار دماء متناثرة على جوانبه، وبعض من شعر المجني عليه.

هذه هي أداة الجريمة يا حسن، واضح بأنه كان هناك نقاش وخلاف أدى إلى تعارك بالأيدي، ثم غافل الجاني المجني عليه بضربة قوية على رأسه من الخلف، بحيث سقط ولم يتحرك، فهرب الجاني اعتقادًا منه بوفاة

المجني عليه..

وهذا ما يجب علينا أن نجعله يعتقد، فيشعر بالراحة ويقل حذره.

هيا بنا يا حسن، لنعد إلى بناية السيد عبدالمجيد.

لماذا نعود؟ ألا يجب علينا كتابة المحضر لما حدث الآن وتسليمه لرؤسائنا؟

نعم سنفعل ذلك بالتأكيد، ولكن هناك ما يجب علينا الانتهاء منه أولًا.

ما هو ذاك يا سيدي؟

اتبعني وستعلم جيدًا ما هو.

وقف المحقق أسعد أمام غرفة الحارس عبده وطرق الباب، فخرج الحارس متسائلًا: ماذا هناك؟

أجابه المحقق أسعد: أريد رؤية سيارات جميع السكان هنا، أين المواقف الخاصة بها؟

بالخلف يا سيدي، فعلى اليمين واليسار من المبنى تجد مدخلين لكل شقة وكل طابق.

تفضل معي يا سيدي المحقق، سأدلك على الطريق.

كم عدد السيارات التي تتواجد فيه دائمًا يا عبده؟

حوالي ثماني سيارات، وإن أخذنا بالاعتبار سيارة السيد فؤاد غالبًا ليست هنا، لكونه يسكن في مدينة أخرى وتكون سيارته معه بالطبع، فهو يسافر إلى عمله بزًا.

تفقد المحقق أسعد المواقف وعيناه تتفحص كل سيارة به بحرص شديد.

ست سيارات ذات لون فضي وسيارتان ذات لون أبيض.

من الست سيارات، كانت هناك سيارتان كبيرتان، تحمل كل الصفات التي أبلغتهم بها الشابة التي كانت متواجدة الى جوار المجني عليه السائق صبري.

لمن تعود ملكية هاتين السيارتين يا عبده؟

الأولى على اليمين تعود للسيد عادل، وهي متوقفة لم تتحرك منذ توقيفه بالحجز.

والثانية تعود للشيخ عبدالمجيد، وهو لا يقودها بنفسه، بل يقودها السائق صبري.

اقترب المحقق أسعد من السيارة الخاصة بالشيخ عبدالمجيد متأملًا بها وهو يدور حولها، ثم نظر إلى الرقم الخاص بالسيارة، كان يبدأ من اليسار بالرقم (٧٨٢١).

رفع رأسه وأشار للمحقق حسن بالاقتراب وهو يقول له: انظر هل ترى هذا؟ إنه نفس الرقم الذي ذكرته لنا تلك الشابة التي كانت بمكان الجريمة.

نعم يا سيدي، لقد أصابت في حدسها.

حسن، أريد رفع كامل البصمات عن السيارة ثم فحصها وبكل دقة، ومنع كائن من كان من الاقتراب منها.

والآن أريد حضور أبناء السيد عبدالمجيد جميعهم مع زوج أختهم أمامي وعلى الفور.

تريدهم هنا أم بمركز الشرطة يا سيدي؟

سيأتون معنا الآن إلى مركز الشرطة وسنرى حينها كيف ستسير الأمور.

لم يعد هناك أي مجال للأخذ والعطاء معهم.

إما يقرون بما حدث ويعترفون، وإلا سأضعهم بالحجز بتهمة التغطية والتستر على القاتل..

فقد نفد صبرنا وتفهمنا معهم، وحان وقت المواجهة لهم سويًا.

هيا أيها المحقق حسن، اذهب في الحال وأحضرهم لي، وخذ معك رجلي الشرطة ولا تسمح لأحد منهم بالاعتذار أو التحجج بأي حجة كانت.

أمرك يا سيدي.. على الفور.

وانصرف من أمامه يرافقه رجلا الشرطة.

وقف المحقق أسعد وهو يتلفت حوله بحرص ويقول في نفسه:

تعتقد بأننا أغبياء ويسهل خداعنا بأقوالك وتحركاتك التي حاولت أنت أن تبعد بها عنك الشبهات؟!

لكني اكتشفتك وتوقعت سقطتك تلك، ولكن ليس بهذه السرعة..

نعم، لقد تسرعت بجريمتك الأخيرة التي ستجعلك تنال جزاءك العادل قريبًا جدًا.

سيدي.. لقد أحضرت المطلوبين كما أمرتني.

شكرًا لك أيها المحقق حسن.

نظر إليهم واحدًا واحدًا، وكلما حاول أحد منهم التحدث أشار إليه بالتزام الصمت.

أيها الشرطي.

أمرك سيدي.

الرجاء حجزهم جميعًا بسيارة الشرطة، والذهاب بهم فورًا إلى مركز الشرطة للتحقيق معهم.

أمرك سيدي.. هيا تحركوا أمامي.

صعد كل من عماد وفؤاد وفارس إلى سيارة الشرطة وهم صامتون

تنفيذًا لأوامر المحقق أسعد.

تحركت بهم السيارة بسرعة، بينما استقل كل من المحقق أسعد وحسن سيارة أخرى..

متوجهين إلى مركز الشرطة لإكمال بقية إجراءات التحقيق.

وبالطريق طلب المحقق أسعد من المحقق حسن رقم الشابة مي محمود والتي كانت متواجدة إلى جانب المجني عليه السائق صبري.

ثم اتصل بها طالبًا منها الحضور على الفور إلى مركز الشرطة.

لماذا تريد حضورها يا سيدي؟

نظر المحقق أسعد إليه نظرة متعجبة من سؤاله قائلًا: هذا ليس وقتًا مناسبًا لسؤالك يا حسن!

فالإجابة واضحة تمامًا أمام عينيك.

أعتذر منك يا سيدي.

ساد بينهما صمت، فقد كان المحقق أسعد يشعر بأن الحقيقة كانت أمامه واضحة بينة.

احتاجت منه إلى جمع خيوطها واحدًا تلو الآخر وربط بعضها ببعض ليضع يده على القاتل الحقيقي والمتخفي خلف أدلة وشواهد ساعدته على البقاء بعيدًا عن الشبهات..

لكن ليس للوقت الطويل، بل ليس بعد الآن على الإطلاق.

وصل المحقق أسعد الى مركز الشرطة، وتوجه من فوره الى مكتبه الخاص، ورفع الشرطي الواقف أمام بابه يده بالتحية العسكرية.

دخل إلى المكتب برفقة المحقق حسن الذي توجه من فوره إلى مكتبه الخاص استعدادًا للبدء بالتحقيق والاستجواب.

ضغط المحقق أسعد على جرس متصل بمكتبه، فحضر على الفور الشرطي... أمرك سيدي.

أحضر الأخوين عماد وفؤاد عبدالمجيد وكذلك السيد فارس عبدالوهاب.

حالًا سيدي.

وخرج مسرعًا، وما هي إلا دقائق قليلة حتى جاء بصحبتهم يرافقه شرطي آخر.

شكرًا لك، تستطيع الانصراف الآن.

حينها علا صوت عماد معترضًا على طريقة معاملته قائلًا: ما الذي يحدث هنا يا سيدي؟!

ولماذا يتم احتجازنا هكذا دون أي وجه حق ولا أي تهمة؟!

حينها وقف المحقق أسعد وتوجه بكل هدوء وثبات إلى عماد.

وقف أمامه تمامًا ونظر إليه بحدة قائلًا له: حينما توجه حديثك معي، لا بد أن تخفض من نبرة صوتك، مفهوم؟

ثم تركه ومشى حتى أصبح أمام أخيه فؤاد، قال له وهو يتأمله ويطيل النظر بوجهه، وعيناه تحدقان مليًا وبحدة في عيني فؤاد، الذي خفض رأسه خوفًا وهربًا من نظراته المخيفة:

قلت لكم منذ البداية، الكذب معي وتغيير الحقائق، والإدلاء بإفادات غير صحيحة، للتستر على بعضكم البعض لن يفيدكم بشيء، بل سيجعلكم في دائرة الاتهام، وربما تكونون شركاء بالجريمة.

ثم وقف أمام فارس وهو يقول: حجتكم بالغياب عن مسرح الجريمة لا ينفي معرفتكم بهوية مرتكبها..

إما أنه واحد منكم، أو أنه قريب منكم جدًا وتحاولون التستر عليه..

وهذا ما أزعجني وأغضبني جدًا.

فوجدت بأن لا جدوى من كل تلك الأسئلة والتي حضرتم إجابتها مسبقًا واتفقتم فيما بينكم عليها.

أجابه عماد: لكن يا سيدي المحقق أرجو أن تستمع إليّ.

أعتذر منك يا دكتور عماد، لن أستمع بعد اليوم إلا للحقائق فقط.

وفر كلامك فلم يعد يجدي نفعًا.

عاد المحقق أسعد إلى مكتبه وجلس مكانه وأخذ يقلب في الأوراق الخاصة بإفادة كل منهم والتي ناولها له المحقق حسن.

دكتور عماد تقدم إلى هنا فضلًا.

أجب على سؤالي التالي بكل وضوح وصدق: أين كنت وقت وقوع جريمة مقتل السيدة سميرة ناصر؟

أجابه عادل: كما سبق وأن قلت لك...

قاطعه المحقق أسعد: ما سبق وأن قلته يا دكتور لا يعني لنا شيئًا الآن، ستجيب بكل دقة ووضوح على

أسئلتي..

وسيتم كتابته بالمحضر الجديد.. مفهوم؟

تفضل أجب على السؤال.

كنت بالمستشفى بقسم الطوارئ، وتستطيع التأكد من كلامي بسؤال رؤسائي بالقسم.

بقيت هناك حتى بعد الانتهاء من فترة دوامي وهي الساعة السادسة مساءً.

لوجود حالات كثيرة يشتبه بإصابتهم بالحمى الصفراء التي جعلت المستشفى والكادر الطبي في حالة طوارئ مستمرة، ويتم استدعاء كافة الأطباء المتواجدين، وأنا من ضمنهم.

ولم أغادر حتى الساعة التاسعة إلى التاسعة والنصف تقريبًا.

عدت حينها إلى البيت والمسافة بينه وبين المستشفى خمس دقائق فقط بقيادة السيارة.

وأين كنت ما بين الثامنة والنصف إلى التاسعة؟

فقد تم استدعاؤك من قبل الفريق الطبي ولم يستطيعوا الوصول إليك؟

نظر عماد إلى المحقق وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه!

سيدي المحقق عذرًا منك، لقد اضطررت للدخول إلى دورة المياه، فقد شعرت بالتعب والإرهاق والدوار، فقررت غسل وجهي بالماء البارد والتقاط بعض من أنفاسي وبعدها عدت لعملي.

هل رآك أحد وأنت عائد من هناك؟

سيدي المحقق أنا طبيب أؤدي واجبي على أكمل وجه، لا علم لي إن رآني أحد أم لا، كل ما كان يهمني وقتها هو العودة للمساعدة بفحص المرضى الممددين بغرف الطوارئ والذين كانوا بحاجة خاصة للرعاية والعناية الطبية.

لكني أقسم لك بأنني لم أغادر المستشفى إلا بالوقت الذي ذكرته لك.

حسنًا.. ولكنك رأيت القتيلة، وأنكرت بأنك رافقتها بالمصعد، بينما الحارس عبده شهد بأنه رآك معها.

هل رأيت الآن بأنك تتهرب من قول الحقيقة؟

هذا المحضر يا دكتور عماد، لن يُسجل به إلا الوقائع فقط..

لماذا أنكرت تلك المعلومة المهمة جدًا؟

هناك سبب هام لذلك التصرف، إما أنك انتظرت دخولها لشقتها ثم غافلتها وتسللت من ورائها وبعدها أجهزت عليها..

وإما أنك رأيت من فعلها، وتحاول التستر عليه لمعرفتك هويته.

غير صحيح يا سيدي المحقق، نعم لقد رافقتها بالمصعد ورأيتها تدخل إلى شقتها، بعدها توجهت إلى مسكني كما قلت لك..

هذه كانت آخر مرة أراها فيها على قيد الحياة.

ولماذا لم تذكر ذلك من قبل؟

ألا ترى بأن ذلك يثير الشبهات حولك بعدم ذكر الحقيقة؟

آسف يا سيدي، ولكنني لم أود ذكر أنني كنت بصحبتها بالمصعد خوفًا من أن يتم اتهامي بشيء بعيد كل

البعد عني.

أقسم لك بأنني لم أفعلها، لست أنا من يغدر بأخي وأبنائه.. لا يا سيدي أرجوك.

ولكن إفادتك تعتبر تضليلًا للعدالة، بإخفاء معلومات تصب في صالح التحقيق..

وقد تكون ساعدت أخاك عادل بالتظاهر بالإغماء وفقدان وعيه

بعد أن قمت بضربه ضربة خفيفة على رأسه، حتى لا يتم اتهامه بأنه هو الفاعل.

أرأيت كيف أن كذبك قد يؤدي بك إلى أمور كثيرة، كنت تستطيع تجنبها لو أنك حرصت على أن تكون إفادتك صادقة؟

حينها نحن من سنقرر إن كنت بريئًا أم لا.

وسيشفع لك صدقك ونزاهتك معنا.

حسنًا.. تفضل اجلس هناك حتى أنتهي من السيدين المحترمين فارس وفؤاد وسأبدأ بالسيد فارس.

كل ما ذكرت لنا تحققنا منه ووجدنا بأنك ذكرت الحقيقة.

كما أنك كنت متواجدًا معنا في مكتب السيد عبدالمجيد تدلي لنا بإفادتك بالوقت الذي حدث به الاعتداء ومحاولة قتل السائق صبري.

كذلك تأكدنا من المستشفى بأنك كنت برفقة طفلتك وزوجتك بغرفة الطوارئ وقت مقتل الآنسة سعاد.

لكنك أخفيت أمرًا بغاية الأهمية.

كانت السيدة سميرة تبعث لك برسائل غرامية عبر تطبيق الواتس شاكية من حبها لك، وبأنها تعلقت بشخصك، وهي دائمة التفكير بك.

كما أنها كانت تسعى لطلب الطلاق من زوجها عادل، وحينها ستستطيع الارتباط بك.. أليس كذلك؟

صمت فارس مطولًا، ثم نظر إلى المحقق وهو يقول في أسى: وهل هذا شيء يقال يا سيدي أو يستحق الذكر؟! فهذه سمعة امرأة زوجها بالنسبة لي أكثر من قريب وصديق يا سيدي.

وهي ميتة الآن رحمها الله، فلمَ قول شيء يشوه ذكراها؟!

لديكم هاتفي المحمول، تستطيعون الرجوع إليه وإلى رسائلها التي كنت أحرص دومًا على مسحها احترامًا لزوجتي ولمشاعرها وكذلك لعادل..

وأبقيت على الرسائل التي تهددني بها، وبأنها ستبلغ زوجتي بما دار بيننا، وكأنّها صنعت بخيالها المريض علاقة.

أبقيت كل ذلك بملف حرصت على إغلاقه بأرقام سرية.

سيدي أنا لم أتجاوب معها أو أشجعها، بل كنت أتجاهلها وأعاملها بجفاء بل وباحتقار، آسف يا سيدي لقول ذلك.

ولهذا السبب، جُن جنونها واختلقت المشاكل من لا شيء..

لدرجة أنها... صمت ولم يستطع متابعة حديثه.

أكمل فضلًا.. ما الذي حدث بعدها؟

ذهبت إلى عمتي والدة زوجتي وشكت لها بأنني أعترض طريقها دومًا، وأحاول مغازلتها حينما أجدها

لوحدها..

فوجئت عمتي بكلامها هذا، وصارت بين الشك واليقين وغضبت جدًا لسماعها لذلك.

والحمد لله على أنها امرأة واعية وحكيمة، تداركت الموضوع بأن فاتحتني بالأمر وسألتني عن حقيقته وهل هناك علاقة بيني وبين سميرة.

فأقسمت لها بأنها كاذبة ومدعية وأن شيئًا من هذا لم يحدث.

سيدي.. كنت أستطيع أن أدافع عن نفسي بجعلها ترى بعضًا من رسائلها إليّ التي احتفظت بها كما ذكرت في ملف مغلق، لشعوري بأنها ستغدر بي عاجلًا أم آجلًا..

ولكني فضلت التكتم والتستر عليها؛ حرصًا مني على حياتها الزوجية وعلى أبنائها الذين لا ذنب لهم بتصرفاتها الطائشة تلك.

ولهذا يا سيدي لم أكن أريد ذكر هذا الموضوع؛ حرصًا مني على سمعتها.

أليس ذلك سببًا كافيًا يا سيد فارس للتخلص منها ومن تهديدها المباشر لك، بأن يتم إغلاق فمها وإلى الأبد؟!

لا يا سيدي، صحيح بأنني تضررت منها كثيرًا، وكادت تهدم علاقتي بزوجتي وتفرق ما بيننا..

لكني كنت حريصًا عليها وعلى زوجها عادل، لن أقدم على أذيته وتحطيمه وهو يعاني منها ما يعاني، لأكمل عليه بتلك الفعلة البشعة..

لقد تحملت كل شيء منها في سبيل سعادة وراحة بال واستقرار أسرتي.

فمن يضحي بنفسه، كيف له أن يفعل ما هو ضد مبادئه وأخلاقه وتربيته يا سيدي؟

حسنًا.. شكرًا لك يا سيد فارس.

وكما سبق وأن قلت لك كل الشواهد لصالحك.

أردت فقط سماع الصدق وتسجيل الوقائع، حتى لو كانت من وجهة نظرك لا تفيد بشيء.

تستطيع الجلوس هناك إلى جوار الدكتور عماد.

تفضل تعالَ إلى هنا يا سيد فؤاد، اجلس هنا من فضلك.

سيد فؤاد.. قلت لنا بأنك كنت بمقر عملك الذي يقع بعيدًا عن هنا حوالي أربع ساعات بالسيارة.

هل هذا صحيح؟

نعم صحيح يا سيدي.

سأعيد سؤالي مرة أخرى: وقت وقوع الجريمة ومقتل السيدة سميرة، أين كنت بالضبط؟

في مسكني المجاور لمقر عملي.

هذا يعني بأنك كنت غير موجود بمنزلك الكائن في بناية والدك.. صحيح؟

نعم صحيح.

كاذب وكلامك غالبه الكذب، لماذا لم تقل لنا إنك حضرت مع زوجتك قبل وقوع الجريمة بيومين، وبأنك تغيبت عن عملك، بل وجعلت صديقك يقوم بالتوقيع عنك بأن أعطيته بطاقة الدخول لمقر عملك ليسجل دخولك وخروجك منه؟

هل كنت تعتقد بأن ذلك سيغيب عنا وبأننا سنصدق كلامك دون التحقق منه؟

ولكن يا سيدي أنا تلقيت اتصالاً من أخي عماد وعدت على الفور إلى المدينة بعد وقوع الجريمة لا قبلها.

ما زلت مستمرًا بالكذب، وهذا كما سبق وأن قلت سيضر بموقفك بالقضية.

حينما تصر يا سيد فؤاد على الاستمرار بالكذب، فذلك يعني بأنك تخفي شيئًا وتحرص على ذلك كل الحرص.

لقد كنت موجودًا بشقتك لم تغادرها حتى لا يراك أحد من أهلك.

ولكن هناك من رأتك وواجهتك بذلك، فقمت على الفور بالتخلص منها، أليس كذلك؟

سيدي.. أصر على موقفي، وبأنني لم أكن موجودًا بالمدينة على الإطلاق، ولا علاقة لي بمقتل السيدة سميرة ولا سعاد.

حسنًا يا سيد فؤاد، لدينا كل ما يثبت صحة ما قلته لك، وهذا الإصرار على نفي ذلك ليس في صالحك.

هناك شهود رأوك تدخل من الباب الخلفي للمبنى، وبأنك كنت موجودًا ليلة ارتكاب الجريمة الأولى والثانية كذلك.

أنا مصر على أقوالي يا حضرة المحقق ولن أغيرها، لأنني أعلم وواثق جيدًا من صدقها.

هكذا إذن.. أنت مصمم على الاستمرار بالكذب والمراوغة.

حسنًا.. سترى كيف نجعلك تقر وتعترف بالحقيقة.

ما هي علاقتك بالآنسة سعاد؟

ليس هناك ما يوصف بعلاقة يا سيدي، الفتاة كانت تعمل لدى والدي.

لم أكن أراها كثيرًا بحكم عملي بعيدًا عن أهلي وأسرتي، فقط إن عدت في زيارة لمقر سكن والدي.

أمر للسلام عليهما والجلوس بصحبتهما، يصادف رؤيتي لها..

دون أي حديث خاص أو عام حتى بيننا.

ماذا أستفيد يا سيدي من التحدث معها؟ فليس لديّ وقت.

أعود من عملي لرؤية أهلي والاجتماع بهم، وذلك مرة إلى مرتين فقط، ويكون جل همي قضاء وقتي كله معهم والراحة بعد تعب العمل.

حقًا يا سيد فؤاد، لديّ معلومات تخالف كل ما ذكرته..

وتأكد بأننا لا نقول شيئًا إلا بعد التدقيق في كل شاردة وواردة.

ولن يغيب عنا معرفة حقيقة كلامك، حاول مراجعة نفسك وقول الصدق، فالكذب يا سيد فؤاد لن يفيدك بل سيكون ضدك.

أنا أقول الصدق يا سيدي ولا شيء غيره.

هكذا إذن.. مصر على أقوالك؟ حسنًا تحمل نتيجة ذلك.

تفضل بالجلوس الآن هناك.

قاطع كلام المحقق طرق على الباب، ثم دخل شرطي أدى التحية العسكرية قائلًا: الشاهدة موجودة بالخارج يا سيدي.

حسنًا دعها تنتظر قليلًا، أيها المحقق حسن رافق المتهمين إلى غرفة العرض وانتظرني هناك حتى آتي إليك.

أمرك سيدي، هيا تحركوا أمامي.. هيا على الفور.

مشى المتهمون مطأطئي الرأس، واليأس والأسى يعتصر قلوبهم. خرج بعدهم مباشرة المحقق أسعد، وسأل الشرطي الواقف أمام الباب: أين الشابة التي استدعيناها للحضور؟

ها هي هناك تجلس بالمقعد أمامنا يا سيدي.

شكرًا على قدومك آنسة مي، مقدرون وشاكرون لك ذلك.

العفو يا سيدي، هذا واجبي.

فضلًا رافقيني للتعرف على المتهم.

سارت معه وهي تلتزم الصمت، وحتى إن كانت تود التحدث أو حتى الاستفسار، فستجد صعوبة بذلك، لأنها لأول مرة تدخل إلى مركز الشرطة..

إلى جانب شعورها بالرهبة والخوف يتملكها.

فتح لهما شرطي يقف أمام غرفة العرض الباب، وأشار المحقق أسعد للشابة بالدخول أولًا، ثم رافقها إلى داخل الغرفة.

وأغلق الشرطي الباب من خلفهما.

كانت الإضاءة بالغرفة خافتة ولكن هناك نافذة كبيرة تتوسطها،

ينبعث منها ضوء أبيض قوي.

أشار إليها المحقق بالاقتراب قائلًا لها: انظري إلى الثلاثة الموجودين بالغرفة وتحققي، أي واحد منهم رأيته يرافق المجني عليه؟

اقتربت بكل حرص من النافذة الزجاجية وهي تطيل النظر في كل منهم.

ثم قالت: لا أعلم يا سيدي، اثنان منهما متشابهان، ونفس الطول تقريبًا.

كان من رأيته يغطي نصف وجهه بقبعة رياضية ولا يظهر من وجهه غير ذقنه والقليل من فمه.

حسنًا انتظري لحظة، وضغط على زر ميكرفون قائلًا: الرجاء إعطاء كل واحد منهم كابًا رياضيًا يضعه فوق رأسه بحيث يغطي عينيه.

حاضر سيدي، على الفور.

وبعد خمس دقائق أحضر شرطي ثلاث قبعات معطيًا لكل من المتهمين واحدة.

انتظرت الشابة حتى أشار إليها المحقق بالاقتراب ثانية من النافذة.

أطالت النظر ثم قالت: الاثنان على اليمين رأيتهما نعم.

أنا متأكدة من ذلك، هما نفس الطول والحجم والعضلات بالذراع.

هل أنت واثقة مما تقولينه آنستي؟

نعم يا سيدي، لقد رأيتهما مرة الذي على أقصى اليمين، ثم مرة الواقف بالمنتصف.

هما نفس الشخص الذي رأيته مع المجني عليه، لكنني لا أستطيع الجزم أي منهما من رأيته، للتشابه الكبير

فيما بينهما.

حاولي التدقيق والتحقق منهما جيدًا يا آنستي.

صمتت قليلًا... ثم قالت في حيرة: هما يشبهان بعضهما البعض، لا أستطيع الجزم أيهما رأيت، ولكني أؤكد لك يا سيدي بأني رأيت أحدهما مع المجني عليه أكثر من مرة.

حسنًا.. هناك أمر واحد تبقى لنا يا آنستي ولا شيء غيره.

تعالي معي فضلًا.. هل تتذكرين قولك لي بأنه كان يضع عطرًا رائحته نفاذة وقوية؟

أحدهما اليوم يضع نفس العطر، وقد تعرفت عليه دون أدنى شك.

ما أريده منك الآن آنستي التركيز جيدًا ونفي الشك باليقين؛ حتى نضع أيدينا على الشخص المطلوب لا أحد غيره.

تحت أمرك يا سيدي.

هيا تعالي معي لنقف خارجًا ولندعهم يمروا بجوارك.

سأكون بعيدًا عنك قليلًا حتى لا يلاحظوا وجودك.

أنتِ فقط من باستطاعته رؤيتهم.

فقط اجلسي هنا على المقعد وحالما يمرون أمامك أشيري لي على من تعتقدين بأنه الجاني.. مفهوم يا آنستي؟

واضح يا سيدي.

أيها المحقق حسن.. أعد المتهمين إلى مكتبي الآن.

أمرك يا سيدي.

خرج المحقق حسن من غرفة العرض برفقة عماد وفؤاد وفارس وأمرهم بالسير أمامه، متعمدًا أن يمروا مباشرة أمام الشابة مي.

تأملتهم واحدًا واحدًا، وحينما مر الثاني من أمامها، فتحت عينيها دهشة، فقد كان يضع نفس العطر الذي ما زالت رائحته النفاذة عالقة بأنفها من روعته وتميزه..

حينها أشارت بأصبعها للمحقق أسعد بالرقم اثنين.

تبسم وهو يشير لها بالموافقة والدعم لرأيها.

ثم توجه إليها بعد أن دخل المتهمون إلى مكتبه قائلًا لها وهو يصافحها:

شكرًا لك يا آنستي، لقد كنتِ خير عون لنا..

وبفضل تعاونك ستتغير الكثير من الأمور.

العفو يا سيدي هذا واجبي، وأتمنى أن أكون بالفعل عنصرًا فعالًا بمساهمتي للكشف عمن كاد يودي بحياة شخص بريء.

نعم يا آنستي، وجودك هنا اليوم ساهم بالكثير.

تستطيعين الانصراف الآن، وسنتصل بك لاحقًا للإدلاء بالشهادة رسميًا.

في أمان الله.

عاد المحقق إلى مكتبه، حيث كان المتهمون الثلاثة هناك واقفين بانتظار حضوره.

جلس خلف مكتبه، ثم قال للمحقق حسن: الرجاء البدء بكتابة محضر التحقيق وتسجيل ما يلي....

«إنه في الساعة السابعة مساءً، من يوم الثلاثاء الموافق السابع من أبريل/٢٠٢٠..

تم استدعاء كل من الدكتور عماد عبدالمجيد، والسيد فؤاد عبدالمجيد، والسيد فارس عبدالوهاب، لاستكمال التحقيق في قضية مقتل كل من السيدة سميرة ناصر، والآنسة سعاد سعيد، والشروع في محاولة قتل السيد صبري محمد.

اتضح لنا أنا المقدم أسعد أحمد، بما لا يدع مجالًا للشك، وبالأدلة والبراهين التي وجدت في مكان الجريمتين وفي موقع الثالثة، أن كلًا من الدكتور عماد والسيد فارس لا علاقة لهما بها، وبراءتهما مما سبق ذكره..

ويتم إطلاق سراحهما اليوم في ساعته وتاريخه..

مع الإبقاء على السيد فؤاد عبدالمجيد لاستكمال التحقيق معه.

ولتعرف الشاهدة عليه، وتطابق البصمات التي وجدت حول القتيلتين ببصماته..

يتم حجز المتهم فؤاد عبدالمجيد لأخذ إفادته من جديد، بناء على ما ذكرته من تغيير مجرى التحقيق، وظهور دلائل جديدة تدينه،

كذلك إعادة التحقيق مع السيد عادل عبدالمجيد لإثبات عدم تورطه بالتعاون مع السيد فؤاد في الجريمة الأولى».

تستطيع الانصراف الآن يا دكتور عماد بعد التوقيع على محضر التحقيق، وكذلك أنت يا سيد فارس.. تفضلا.

نظر عماد وفارس كل منهما إلى الآخر ثم إلى فؤاد لم يعلما ما الذي سيقولانه له.

فلم يدر بخلدهما ولو للحظة أن يكون فؤاد متهمًا، ولماذا يتم اتهامه وهو أبعد ما يكون عن ذلك؟

التزما الصمت وغادرا المكان وهما يبحثان عن حجة سيقولانها لتبرير احتجازه، ولكن ما هي؟

هما أيضًا لا يعلمان ما السبب، شيء محير بالفعل!

بقي فؤاد وحيدًا يتلفت حوله محاولًا جهده ألا تلتقي عيناه بعين المحقق أسعد.

سيد فؤاد تفضل بالجلوس ها هنا، وسأعيد عليك الأسئلة ولكن هذه المرة أريد سماع الحقيقة لا الأكاذيب، واعلم كل العلم بأن لدينا جميع الحقائق والبراهين التي تدعم أقوالنا.

لنبدأ من جديد.. أين كنت يوم مقتل السيدة سميرة ما بين الساعة التاسعة والنصف والعاشرة والنصف مساءً؟

سيدي ذكرت لك أكثر من مرة بأنني كنت في مقر عملي الذي يبعد حوالي أربع ساعات بقيادة السيارة.

وبينما هو يتحدث محاولًا إبعاد الشبهات عنه، دخل شرطي حاملًا ظرفًا ورقيًا سلمه للمحقق أسعد، ثم انصرف بعدها مؤديًا التحية العسكرية.

فتح المحقق أسعد المظروف بكل حرص وانتباه، وأخرج منه مجموعة من الأوراق صُفت بترتيب.

أخذ يتفحصها ورقة ورقة، مما جعل فؤاد يشعر بالخوف مما فيها، وبدا عليه التوتر والقلق لأول مرة منذ بداية التحقيق معه.

طال الوقت وساد الصمت ولم يعد يسمع إلا صوت الورق.

بعد مرور وقت ليس بالقصير، وقف المحقق أسعد أمام فؤاد

وقال له بهدوء: لقد وصلني قبل قليل تقرير المعمل الجنائي..

هل تود معرفة فحواه يا سيد فؤاد؟

أرى أن ثقتك التي تتحلى بها بدأت بالتلاشي شيئًا فشيئًا، أليس كذلك؟!

أجاب فؤاد بصوت حاول أن يكون هادئًا وثابتًا: ولمَ ذاك يا سيدي المحقق؟

لا داعي للتعامل معي وكأنني المجرم الذي تود القبض عليه وتسعى إليه جاهدًا..

علمًا بأنه سيخيب ظنك يا سيدي، فلا تتأمل كثيرًا.

أجابه المحقق أسعد: نعم لن أتأمل الكثير، فما لديّ يكفي لإدانتك بشكل لا مجال به للشك يا سيد فؤاد.

ما علاقتك بالمجني عليها سعاد؟

قلت لا علاقة بيني وبينها.

حقًا ما تقول؟! لقد وجدنا زجاجتي العطر هذه إحداهما لدى سعاد والثانية بغرفة السائق صبري وبصماتك عليهما.

ما هو قولك وردك على ذلك؟

لا علم لديّ يا سيدي، كما سبق وقلت لك بأنني غالب الوقت خارج المدينة، ربما استطاعت سعاد الحصول عليها من شقتي، استغلت غيابنا أنا وزوجتي وأخذتها ثم أعطت منها للسائق.

هكذا إذن بكل بساطة، تتسلل إلى شقتكم التي لا يملك مفتاحها أحد غيرك وزوجتك؟!

فسر لي ذلك يا سيد فؤاد.

لا علم لديّ كيف ذلك، ربما اتفقت مع السائق لصنع نسخة أخرى.

جميل تفسيرك للأمور، فكل شيء وجدت له مبررًا.

حسنًا.. انظر إلى علبة الدواء هذه، ما رأيك بها؟ انظر إليها جيدًا يا سيد فؤاد.

لا فكرة لديّ عنها، ولم أرها من قبل.

حقًا؟ هذه علبة دواء حبوبها مخصصة للمساعدة على النوم، وجدناها بغرفة السائق..

وجدنا عليها بصماته وبصماتك أيضًا يا سيد فؤاد.

ما تفسيرك لوجود بصمتك على علبة الدواء الخاصة بالسائق؟

لقد شكا لي بأنه يعاني من صعوبة بالخلود إلى النوم، وطلب مساعدتي، فأعطيته علبة كانت لديّ.

لا أظن أنه خطأ كبير أعاقب عليه أو أنني المشتبه به، طلب مساعدتي فقمت بذلك فقط لا غير.

يعجبني جدًا يا سيد فؤاد ردودك وسرعة بديهتك، ولكن الدواء هذا وجدناه بفحص دم بسيط للحارس عبده، وجدنا فيه أثر هذا المنوم بالذات.

فمن قام بوضعه بكوب الشاي الخاص به ليستغرق بنوم عميق..

فلا يرى الجاني وهو يتسلل من الباب الخلفي مستخدمًا المفتاح الخاص به، والذي لا أحد يملك نسخة منه

غير الحارس؟

لا علم لي بذلك يا سيدي.

حسنًا، طالما أنت مصمم على عدم قول الحقيقة كاملة فلا أجد أمامي وسيلة غير وضعك بالحجز.

ربما وأنت هناك ستعيد التفكير مليًا بالأمر، وحينها سنرى ما الذي توصلت إليه، ولعل الذاكرة هناك تعود إليك.

وحينما حاول فؤاد الرد عليه، أشار إليه المحقق بالصمت وهو يضغط على جرس استدعاء الشرطي الواقف خارجًا..

الذي حضر على الفور وهو يقول مؤديًا التحية العسكرية: أمرك سيدي.

خذ المتهم فؤاد إلى غرفة الحجز، وممنوع عنه منعًا باتًا الزيارة، أو جلب أي أغراض خاصة يطلبها، ولا حتى التحدث بالهاتف.. مفهوم؟

تُنفذ الأوامر حالًا وبدون أي استثناء.

أمرك سيدي، هيا تحرك أمامي دون أي تأخير.

خرج فؤاد بصحبة الشرطي وهو يجر قدميه جرًا محاولًا الاعتراض ولكن لم تُعطَ له أي فرصة لذلك.

نظر المحقق حسن إلى المحقق أسعد منتظرًا منه تفسير ما جرى.

حينها قال له: الأدلة ضده يا حسن غير كافية، ولكني متيقن بأنه الفاعل مئة بالمئة، فقط أنتظر مراجعة الأدلة وكذلك نتائج المعمل الجنائي باكتشاف بصماته على السيارة التي رأتها الشاهدة تخرج مسرعة من المكان الذي وجدنا به المجني عليه صبري.

نعم يا سيدي، وأنا أيضًا بدأت أوقن بأن كل مواصفات الجاني تنطبق عليه.

صدقت يا حسن، ولكن ما ينقصنا الدليل القوي والذي سيمكننا من تبرئة عادل وإثبات التهمة على فؤاد.

وبينما هما يخوضان هذا الحديث والنقاش محتدم بينهما..

إذ علا صوت الهاتف، أسرع المحقق أسعد بالرد عليه، استمع إلى المتصل وأجابه: حقًا؟ تلك أخبار جيدة جدًا، قادم إليك على الفور.

من المتصل يا سيدي؟

إنه الطبيب المشرف على علاج السائق صبري، يبلغني بأنه حالته تحسنت واستقر وضعه الصحي والحمد لله.

هيا بنا يا حسن فلنسرع إلى هناك.

خرجا سويًا واستقلا سيارة الشرطة مسرعين للوصول إلى المستشفى.

استقبلهما الطبيب المسؤول عن حالة المريض صبري.

أبلغهما بالتطور الذي طرأ عليه وأنه أصبح واعيًا بما فيه الكفاية للإجابة على كل تساؤلاتهم.

جلس المحقق أسعد بمقعد أمام سرير صبري بينما وقف المحقق حسن عند مدخل الغرفة برفقة الطبيب.

كيف حالك يا صبري، وكيف تشعر الآن؟

وبصوت بطيء أجابه: الحمد لله يا سيدي.

أغمض عينيه لبرهة، فقد شعر بدوار خفيف، ثم فتحهما ليتمكن من النظر إلى المحقق.

هل تستطيع أن تقص علينا ما الذي حدث لك بالضبط، أم تجد في ذلك صعوبة عليك يا صبري؟

نعم أستطيع يا سيدي، رغم الألم الذي أشعر به برأسي ولكن الطبيب شاكرًا ما قام به من إعطائي مسكنًا له.. فهدأ عني قليلًا.. الحمد لله.

الحمد لله، حسنًا يا صبري، ابدأ من حيث حادث الاعتداء عليك، ما الذي حدث لك ولماذا؟

كنت بغرفتي أحاول أن أرتاح قليلًا حتى يتم استدعائي من قبلكم.

رن هاتفي المحمول، أجبت، طلب مني الخروج بسرعة من موقف السيارات والقدوم لاصطحابه من البناية الملاصقة لنا.

قال لي: لا بد من مناقشة أمر مهم جدًا قبل الإدلاء بإفادتي للشرطة.

أجبته بأنني لا أستطيع الخروج من غرفتي فرجال الشرطة يحرسون المكان.

أجابني بأنه تدبر الأمر، وكل ما عليّ فعله هو التوجه عبر الباب الخلفي بهدوء، ومحاولة عدم لفت أنظارهم ثم التحرك بالسيارة دون أن أحدث جلبة..

وسأجده بانتظاري أمام المبنى المقابل.

عذرًا منك يا صبري، من هو هذا الشخص الذي تشير إليه؟

إنه السيد فؤاد ابن الشيخ عبدالمجيد.

قفز المحقق أسعد واقفًا من على مقعده غير مصدق لما يسمعه!

لم يتوقع لو بخياله أن يظهر تورط فؤاد بالاعتداء على صبري، شاهد إثبات لن يستطيع نفي شهادته.

ولكن هناك سبب جعله يقدم على فعلته تلك، نعم، ذلك دليل قوي على أنه من قام بارتكاب جريمتي قتل كل من سميرة وسعاد.

حسنًا يا صبري، ابدأ بالحديث عن واقعة الاعتداء عليك.

حسنًا يا سيدي، كما قلت لك بأنه طلب مني القدوم إليه واصطحابه لمناقشة أمر هام جدًا.

أخذت السيارة بكل حرص وخرجت من المواقف من المخرج الخلفي حيث لا توجد حراسة إلا على المدخل الرئيسي.

قدتها مباشرة إلى حيث كان ينتظرني السيد فؤاد وهو يتلفت حوله وقد ارتدى معطفًا له غطاء رأس؛ حرصًا منه كعادته على إخفاء هويته.

طلب مني بعدها التوقف عند بناية تحت الإنشاء.

نفذت ما طلب مني، بعدها خرج من السيارة وأمرني أن أتبعه سيرًا على الأقدام.

مشيت وراءه قليلًا، وبدأت أشعر بالريبة والشك والخوف من تصرفاته تلك.

توقفت بمنتصف الطريق وقلت له مباشرة: ما الذي تريده مني؟

نظر إليّ تلك النظرة التي جمدت الدم بعروقي، فقد تيقنت حينها بأنه هو من فعل كل ذلك.

هو من قام بخنق سعاد، الفتاة البريئة الحنونة والطيبة..

التي لم تؤذ أحدًا وأذاها هو.

ولماذا تعتقد بأنه هو الفاعل؟

لأنني رأيته أكثر من مرة يتسلل من الباب الخلفي ليصعد إليها.

تابعته مرة لأرى ماذا يريد بالصعود باستخدام الباب الخلفي والذي يملك مفتاحه الحارس عبده فقط.

فوجئت بأنه يدخل من باب المطبخ وتكون سعاد بانتظاره.

هل انتبه فؤاد لك برؤيتك له؟

لا يا سيدي، ولكني رأيت السيدة سميرة تقف بالدور الثاني من المدخل الخلفي الخاص بشقتها..

تقف مختبئة محاولة معرفة ما الذي يجري..

ولماذا يصعد السيد فؤاد متسللًا إلى الدور الخاص بالشيخ عبدالمجيد..

حينها التفت إليها السيد فؤاد وأصابه الارتباك فعاد من حيث أتى.

وقفت السيدة سميرة معترضة طريقه قائلة له بسخرية: إلى أين يا عصفور الحب؟! جميل جدًا ما أراه هنا، ورفعت عينيها إلى الأعلى حيث رأت سعاد تنظر إليها بخوف.

قائلة لها: سنرى ما الذي سيقوله عمي أبو عادل على تصرفاتك الطائشة، تواعدين الرجل من وراء زوجته أيتها الحقيرة وتتظاهرين بالبراءة أمام الجميع؟!

حينها أمرها السيد فؤاد بالصمت وعاد مسرعًا إلى شقته لأنه يعلم كل العلم بأنها لن تسكت بل ستستغل الموقف لإشعال فضيحة..

كل هذا وأنا مختبئ لم يرَني أحد منهم.

حسنًا يا صبري تمهل قليلًا، هل أبلغته برؤيتك له؟

لا يا سيدي، لقد هربت من المكان بسرعة؛ حرصًا مني على عدم التدخل بالأمر، فقد وجدت بأنني سأكون دخيلًا بشيء لا يخصني من قريب أو بعيد.

حسنًا يا صبري، حاول أن تركز معي جيدًا بهذا السؤال، والإجابة عليه بكل تروٍّ:

هل السيد فؤاد هو من قام بالاعتداء عليك؟

نعم يا سيدي.

ما السبب الذي دعاه لفعل ذلك وتركك ما بين الحياة والموت؟

لأن سعاد -رحمها الله- كانت خائفة منه جدًا بعد أن رأته ليلة مقتل السيدة سميرة..

يتسلل من الباب الخلفي، ورغم أنه كان متخفيًا ويضع شالًا على رأسه إلا أنها تعرفت عليه من عينيه.

وكيف علمت أنت بذلك يا صبري؟

لأنها طلبت مساعدتي وأبلغتني بخوفها منه، فهدأت من روعها، وطلبت مني تجهيز حقيبة صغيرة تضع فيها القليل من الملابس..

حيث كنت سأصطحبها إلى قريبة لي تعيش بالقرب منا لتختبئ قليلًا من الوقت بعيدًا عنه.

ولماذا لم تأتِ إلينا يا صبري وتبلغنا بذلك لنوفر لها الحماية وألقينا القبض عليه بدلًا من ارتكابه لتلك الجريمة البشعة؟

أعتذر يا سيدي، الخوف تملك مني ولم أعلم ما الذي يجب علي فعله.

كل ما فكرت به حينها حمايتها، فسعاد كانت بمكانة أخت صغرى لي.

كانت الفتاة طيبة وعلى نياتها، لا تعرف الخبث والخداع أو الكذب.

وفؤاد استغل طيبتها، ووعدها بالزواج.

فهو كما قال لها بأنه أحبها، وسيترك زوجته من أجلها ليتزوج بها،

وصدقته وأمنت له مع الأسف.

اتفقت معها على أن ترافقني بعد صلاة الظهر حيث كلفني الشيخ عبدالمجيد بقضاء بعض مستلزمات البيت..

ولكن المجرم الغادر سبقني إليها.

ما الذي يجعلك متأكدًا من ذلك يا صبري؟

حينما وصلت الشرطة وعلمت بمقتلها، انهرت حزنًا وانتابني شعور بالقهر والغيظ.

قمت فورًا بالاتصال به وأسمعته كل ما كان بصدري.

قلت له بأنني لن أصمت على فعلته تلك، بل سأبلغ الشرطة بكل شيء عنه..

رؤيته وهو يتسلل ليلة مقتل السيدة سميرة، وعلاقته بسعاد واستغلال شابة برينة واللعب بمشاعرها على حساب أهوائه ومصلحته.

حينها حاول أن يهدئ من روعي، وكما ذكرت لك يا سيدي، طلب مني أن أقابله حتى نتفاهم ويوضح لي بأنه لا ذنب له ولا يد بما حصل.

وما الذي دار بينكما يا صبري؟ ولماذا تهجم عليك محاولًا قتلك؟

هل صحيح أنه حاول قتلك يا صبري؟

نعم يا سيدي، حينما أوقفت السيارة ومشيت وراءه، شعرت بخوف وعدم ارتياح له.

وقفت بنصف الطريق وقلت له: ما الغرض من قدومنا إلى هنا؟ إن كنت تريد أن أغير أقوالي فلن أفعل ذلك إطلاقًا..

فأنا أعلم تمام العلم عن علاقتك بسعاد وما الذي وعدتها به كذبًا، ثم بعدها أجهزت عليها للتخلص منها حتى لا تفضح ما بينك وبينها، وكذلك رؤيتها لك ليلة مقتل السيدة سميرة، هل تعتقد بأنني لم أعلم بذلك؟ لا سيد فؤاد، لقد أبلغتني سعاد بكل شيء عنك وكيف أنها رأتك بعينيها تتسلل من الباب الخلفي إلى مدخل بيت أخيك عادل، كم سيسر رجال الشرطة حينما أبلغهم بذلك!

حينها يا سيدي تغيرت ملامحه واحمر وجهه وأصبح شخصًا غير الذي كنت أعرفه.

نظراته يا سيدي كانت مخيفة جدًا وكأنما تحول إلى وحش بشع.

قال لي وهو يحاول التحكم في نبرات صوته: ما هذا الهراء الذي تهذي به؟!

أنت تحاول أن تقلب وتغير سير الأحداث يا صبري.

أنت من كان على علاقة بها مستغلًا مهنتك للتقرب والنيل منها.

كل ما قلته عني يا صبري كذب وافتراء ولا أساس له من الصحة.

لا تهدد فأنا من سيقوم بالإبلاغ عنك، وسأقلب الطاولة عليك..

وسنرى كلمتي ضد كلمتك.

حينها يا سيدي غلى الدم بعروقي وشعرت بغضب شديد لجرأته وادعائه..

فاقتربت منه محاولًا لكمه على وجهه لكنه غافلني بركلة أوقعتني أرضًا.

حاول بعدها القيام بخنقي ولكني تمكنت من دفعه بعيدًا عني.

وحاولت النهوض ثانية ولكنه غافلني بضربة قوية على رأسي من الخلف أفقدتني الوعي..

ولم أصحُ إلا هنا بالمستشفى.

حمدًا لله على سلامتك يا صبري..

وقريبا جدًا سيأخذ الجاني جزاءه العادل بإذن الله.

شكرًا لك يا سيدي المحقق.

بل شكرًا لك يا صبري.. أيها المحقق حسن دعه يوقع على أقواله.

تفضل هنا يا صبري، نعم أمام اسمك.. شكرًا لك.

أيها الطبيب لا تدع أحدًا يقترب منه، والرجاء الاهتمام به وبصحته.

ورجاء إعلامي عن موعد خروجه من المستشفى حالما تستقر حالته ووضعه الصحي.

هيا بنا يا حسن فلنسرع إلى مركز الشرطة.

أمامنا مهمتان لا بد من الانتهاء منهما على الفور.

نعم يا سيدي.

عاد المحققان أسعد وحسن إلى مركز الشرطة وتوجها إلى المكتب الخاص بالمحقق أسعد الذي أمر بإحضار السيد فؤاد على الفور.

جلس خلف مكتبه وهو يقول للمحقق حسن: ما رأيك؟ هل توقعت بأن يكون فؤاد هو القاتل الذي نبحث عنه؟

لا يا أسعد لم يخطر ببالي أبدًا، لقد كان أبعد ما يكون عن تفكيري. كانت شكوكي تدور ما بين السيدة أميرة وزوجها، كنت أشعر بعدم الراحة خلال التحقيق معهما.

أنا يا حسن شككت به منذ المرة الأولى التي رأيته بها، فقد كان يصر على أنه لم يكن متواجدًا بمسرح الجريمة.

وحتى أرتاح من شكي ذاك، تواصلت مع مقر عمله واستطعت أن أصل إلى الحقيقة وهي أنه كان يكذب.

تساءلت حينها: لمَ الكذب إن كان بريئًا حقًا؟ لا بد أن هناك شيئًا ما يحرص كل الحرص على التستر عليه.

هل يريد التستر على أخيه عادل؟ لا أعتقد، بل الموضوع غير ذلك على الإطلاق.

ومن هنا بدأت أضيق الدائرة حوله وحول فارس زوج شقيقته حينما علمت عن علاقته بزوجة عادل السيدة سميرة.

وكذلك الرسالة التي كتبتها سعاد، وجدت أن كلماتها كلها تشير إليه رغم عدم ذكرها لاسمه.

كما أن السيدة أميرة أفادت برؤيتها لظل شبح خلفها تتطابق أوصافه مع فؤاد.

السيدة خلود أيضًا رأته وهو يخرج مسرعًا من البناية وقالت بأنه كان يبدو مألوفًا لديها من طريقة مشيته.

ولو لاحظت يا حسن بأن فؤاد لديه قدم بها عرجة بسيطة لا تكاد ترى إلا لمن يدقق بها.

وكذلك شككت به من رائحة عطره التي وجدناها ما بين دفتر سعاد..

كان نفس العطر الذي كان يضعه حينما حققت معه المرة الأولى.

لقد لفت انتباهي دون أدنى شك، وتيقنت بأنه له يد بالجريمتين، وزاد شكي وصار يقينًا حال اختفاء السائق صبري.

شعرت منذ البداية بأن هناك رابطًا ما بينهما.

سمعا طرق على الباب، دخل بعدها شرطي أدى التحية العسكرية قائلًا: المتهم فؤاد موجود بالخارج يا سيدي.

أدخله على الفور.

دخل فؤاد بصحبة رجل الشرطة.

السيد فؤاد عبدالمجيد يا سيدي.

حسنًا، تستطيع الانصراف الآن، شكرًا لك.

تفضل يا سيد فؤاد بالجلوس ها هنا.

جلس فؤاد وهو يشعر بأنه ما بين نظرات كل من المحقق أسعد وحسن، كأنه تحت عدسة المجهر المكبر..

يتفحصانه من قمة رأسه الى أخمص قدميه.

سيد فؤاد.. ما علاقتك بجريمة قتل كل من السيدة سميرة والآنسة سعاد ومحاولة قتل السيد صبري؟

لا علاقة لي بهم نهائيًا.

حسنًا.. الإنكار لن يفيدك بشيء، فقد أفاق السيد صبري واعترف وأقر بكل شيء وكيف أنك غافلته وضربته بحجر على رأسه بنية التخلص منه، بناء على المعلومات التي لديه عن الآنسة سعاد وعلاقتك بها ورؤيتها لك ليلة مقتل السيدة سميرة وإبلاغك بذلك.

ولهذا السبب قررت التخلص منها حتى تبعد عنك الشبهات.

أليس كذلك يا سيد فؤاد؟ لمصلحتك الإقرار والاعتراف فلن يفيدك الإنكار بشيء بل سيزيد الطين بلة.

صمت فؤاد ولم يجب.

صمتك هذا لن يفيدك بشيء فكل الأدلة ضدك.

كل ما أريده أن تقص لنا بالتفصيل كيفية حدوث ذلك.

رفع فؤاد رأسه ونظر مباشرة إلى عيني المحقق أسعد، وكما وصفه صبري، تحولت ملامحه إلى شخص آخر غير الذي دخل المكتب.

كان فؤاد الأكثر قربًا وشبهًا بوالده الشيخ عبدالمجيد.

لكن الآن تغيرت ملامحه، ممتلئة بالغضب والحقد والكراهية.

نعم، لقد أقدمت على خنق سميرة بيدي هاتين، ولو عاد بي الوقت سأفعلها ثانية ولن أشعر بالندم أبدًا.

حسنًا أريدك أن تذكر لنا وبالتفاصيل الوقائع وبمنتهى الدقة.

في الأيام التي كنت أعود بها إلى منزل والدي، كانت زوجتي تفضل البقاء بمنزل أهلها بعيدًا عن المشاكل والاحتكاك بسميرة.

كنت أشعر بالوحدة وإحساس بالضيق بعيدًا عنها.

فضلت قضاء غالب وقتي مع والدي ووالدتي، هناك رأيتها أمامي، سعاد فتاة تمشي وتنثر البهجة والسعادة أينما حلت.

جميلة الروح والقلب إلى جانب المظهر.

لا أعلم كيف تسلل حبها لقلبي وبادلتني هي نفس المشاعر.

كنت بالفعل أفكر بالزواج بها دون علم زوجتي ووالدي.

لكن سميرة بفضولها وخبثها ومكرها وتدخلها فيما لا يعنيها...

رأتني وأنا أقف مع سعاد، كنت وقتها أتحدث معها وأخطط لموعد زواجنا بكل هدوء، اتفقت معها أن أستأجر لنا شقة صغيرة بعيدة عن سكن والدي، وأن أخصص لها كل أيام الإجازة من عملي.

رأتنا سميرة وحاولت أن تخبر والدتي، لولا أنني أسرعت بالنزول إليها ومحاولة إقناعها بالسكوت وعدم التحدث عما رأته وخصوصًا لزوجتي.

فضحكت باستهزاء وقالت لا بد أن يكون هناك مقابل، فلا شيء بالمجان يا عزيزي.

وافقتها على طلباتها، اشتريت لها السيارة التي كانت تحلم بها ولم يستطع عادل شراءها لها.

وحينما سألها من أين لها المال؟

قالت له بأن والدها هو من أعطاها قيمة السيارة.

وهكذا استمرت بتهديدي وابتزازي.

وهل هذا سبب كافٍ يا سيد فؤاد للتخلص منها؟

ليس هذا السبب الوحيد فقط، لقد انتظرت قدوم زوجتي لشقتنا وحاولت تحذيرها بالانتباه لي برسائل مبطنة..

مما أثار الشك والظنون والغيرة بقلبها.

كما أنها قامت بإهانة سعاد وإذلالها بألفاظ بشعة وحقيرة وقذرة مثل لسانها وتوعدتها بفضحها لدى والدتي.

كيف علمت بذلك يا سيد فؤاد؟

اتصلت بي سعاد وأبلغتني بذلك وهي تبكي بكاءً حرق قلبي عليها.

هنا لم أعد أستطيع التحمل، انتهزت فرصة انشغال زوجتي بالتحضير لزواج أختها.

فأوصلتها لمنزل والديها وأبلغتها بأنني سأعود مرة ثانية إلى مقر عملي..

بينما عدت متسللًا إلى شقتي واختبأت بها منتظرًا الفرصة المناسبة.

ما كان يقلقني هو الحارس عبده، لأنه كان يجلس دومًا أمام البناية ولا يستطيع أحد الدخول أو الخروج إلا بالمرور من أمامه، فاشتريت حبوبًا منومة، وضعت له بعصيره المفضل حبة منه.

غافلته بوضع العصير أمام فراشه بغرفته، وأنا أعلم بأنه لن يقاوم وسيشربه.

انتظرت حتى شعرت بأنه خلد للنوم.

دخلت غرفته وأخذت المفتاح الخاص بالباب الخلفي وصنعت منه نسخه وأعدت الأصل لعبده.

بعدها تربصت بسميرة حيث خرجت من شقتي ملثمًا وتوجهت من مدخل الباب الخلفي للمبنى مسرع الخطا، فأنا أعلم جيدًا موعد عودتها من منزل والدها، كانت الساعة تقترب من العاشرة إلا الربع تمامًا، سمعت من مكاني الذي كنت أختبئ به صوت المصعد متوجهًا للدور الثاني.

وعند دخولها لشقتها دخلت بسرعة من باب المطبخ الخلفي متجنبًا أن يلمحني أحد.

رأيتها تتجه لغرفتها، مشيت على أطراف أصابعي، كان كل من في البيت نائمين، فلم يشعر بي أحد.

رأيت أخي عادل نائمًا على الأريكة وكأنه كان يهذي.

لم أعره اهتمامًا فالهدف كان واضحًا أمامي، التخلص من زوجته.

تسللت إلى الغرفة بكل هدوء وبحثت عنها، وجدتها تقف أمام خزانة ملابسها وظهرها لي.

غافلتها من ورائها وأطبقت على رقبتها بكل قوتي، حاولت التملص مني وصرخت بأعلى صوتها، ولكني كتمت أنفاسها ولم أتركها حتى تأكدت من أنني قد أجهزت عليها تمامًا.

لكن أخي عادل جاء مسرعًا على صوتها، فاختبأت وراء باب الخزانة، وحين جلس إلى جوارها تلفت للبحث عن شيء أضربه به حتى أستطيع الهرب قبل حضور أخي عماد، وجدت مجفف الشعر الخاص بزوجته فضربته على رأسه من الخلف وحرصت على أن يفقد وعيه وألا أؤذيه.

ثم هربت مسرعًا من الباب خلفي، ركضت إلى سيارتي التي أوقفتها بعيدًا، ثم اتجهت إلى الشقة التي استأجرتها قبل أسبوع من الحادث، حيث اختبأت هناك حتى اتصل بي أخي عماد، وتظاهرت بأنني ما زلت بمسكني الخاص بمقر عملي.

بعد حوالي أربع ساعات اتصلت بزوجتي لأبلغها أنني سآتي إليها بمنزل والدها لاصطحابها، وأوهمتها بأنني وصلت المدينة للتو.

هذا ما حصل بالضبط، ولست نادمًا على ما فعلته، فقد تخلصت من امرأة يسكنها الشر وحب أذية كل من تعرفهم.

حسنًا يا سيد فؤاد، إن كانت السيدة سميرة يسكنها الشر كما تقول، فماذا عن سعاد الشابة الطيبة البريئة التي اتفق الجميع على حبها؟!!

لأنها الشاهدة الوحيدة التي رأتني وواجهتني بذلك..

حاولت أن اقنعها بأنها واهمة وبأنني لم أكن موجودًا حينها.

لم تصدقني، وبدأ الخوف يظهر في عينيها مني.

واكتشفت بأنها تجهز حقيبتها للهرب من البيت بصحبة صبري.

فجن جنوني، لم أتحمل فكرة ابتعادها عني، ماذا لو فضحت أمري واعترفت للشرطة بأنها رأتني وقت مقتل سميرة؟!

أصبحت في صراع بين عقلي وقلبي، الخوف يتملكني ويغلب على حبي لها، اتصلت بها فجرًا وقلت لها بأنني قادم إليها ولا تتحرك من مكانها، وبأنني أحبها وسأفعل كل ما تريده مني.

فكرت حقًا لم لا آخذها بعيدًا وأهرب ونعيش سويًا؟ فهذا حقًا ما أرغب به..

لكن إن فعلتها سأثبت التهمة علي.

انتظرت حتى خرج والدي من البيت كعادته كل صباح ثم صعدت إليها.

فتحت لي الباب، دخلت بكل هدوء، أخذتها بين أحضاني أهدئ من روعها وخوفها، لكنها صدتني وقالت لي: قل الحقيقة يا فؤاد فأنا أعرفك جيدًا من عينيك، إن كذبت علي فلن تكذبا.

حاولت جاهدًا إقناعها بأنني بريء، ولكنها استمرت باتهامي وتكذيبي وهي تقول لي سأذهب إلى والدتك الآن وأصارحها بكل شيء وأترك الأمر كله لها.

صمت فؤاد قليلًا ونظر بعيدًا وكأنه يستعيد المشهد أمامه مرة ثانية.

ثم قال بنبرة أسى: وحين أدارت ظهرها لي تود الذهاب لوالدتي..

اعترضت طريقها، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أطبق بكل قوتي على رقبتها وهي تحاول التخلص من يدي متمسكة بطاولة المطبخ وأنا مستمر بخنقها، حتى سكن جسدها وفارقت الحياة.

نظرت إليها، وحينها انهالت للدموع لأول مرة من عيني، سميرة تستحق ما جرى لها يا فؤاد، لكن سعاد ما ذنبها!

وددت حينها أن أركض إلى والدتي وأرتمي في حضنها معترفًا بكل شيء..

لكنني كنت أجبن من ذلك، هربت من الباب الخلفي وقد كنت حريصًا على إحضار حذاء الحارس عبده بعد أن لطخته بالطين.

وبسرعة أعدته لغرفته وأنا أعلم بأنه مستغرق بالنوم، فقد وضعت له المنوم بالعصير مرة أخرى.

فتحت باب غرفته وأعدت حذاءه تحت فراشه، ثم عدت مسرعًا، ومن ارتباكي دخلت من باب المبنى الرئيسي مستخدمًا بطاقتي الخاصة للدخول.

سمعت صوتًا من خلفي، فأسرعت بالهروب وتركت الباب مفتوحًا من عجلتي.

وبالنسبة للسيد صبري، ما الذي حدث بينكما؟

كنت أعتقد أنني أغلقت من ورائي باب الشك والظنون وأبعدت عني الشبهات.

لكن صبري بعد أن علم بمقتل سعاد جُن جنونه واتصل بي مهددًا قائلًا بأن سعاد تواصلت معه وأبلغته برغبتها بالهروب من البيت.

قلت له: دعنا نجتمع سويًا لنتفاهم ونحل هذه المشكلة.

واتفقت معه على أن يحضر السيارة وسأكون بانتظاره بالبناية المجاورة.

استطعت التسلل من الباب الخلفي دون أن يلاحظني أحد، وانتظرت قدوم صبري.

وصل صبري وصعدت معه بالسيارة، وأمرته بالسير حتى وصلنا إلى بناية ما زالت تحت الإنشاء.

قلت له بأن يقف داخل المواقف التي كانت خالية تمامًا، ترجلت من السيارة وأمرته بالسير معي لأوضح له كل الأمور التي يتساءل عنها.

لكنه توقف فجأة وهو يتوجس مني خيفة، ولا أستطيع لومه على ذلك، حتى أنا أصبحت لا أعلم ما الذي يجري بداخلي!

لم كل هذا التغيير؟! هل مات ضميري فجأة فلم أعد أشعر بشيء وتبلد الإحساس في؟!

تهجم صبري علي وتلفظ بكلمات شعرت وكأن رأسي يغلي.

حاولت إسكاته ولكنه دفعني ولكمني بقوة بوجهي.

ركلته بقدمي وحاولت الإجهاز عليه فلم أستطع، دفعني بعيدًا عنه..

سقط على الأرض، جاءت يدي على حجر خاص بالبناء.

فأمسكت به وبكل قوتي انهلت على رأس صبري قبل أن يتمكن من القيام من مكانه.

نظرت إليه والدماء تتساقط بغزارة من رأسه.

اعتقدت بأنه قد مات لأنه لم يتحرك من مكانه.

ركضت سريعًا وألقيت بالحجر في سلة القمامة القريبة مني.

صعدت إلى السيارة التي كانت مفاتيحها بداخلها.

شغلتها وعدت بها سريعًا، ومن نفس المكان دخلت وتركتها بمواقف البناية.

صعدت إلى شقتي وألقيت بنفسي عند أول أريكة محاولًا التقاط أنفاسي.

هذا كل شيء يا سيدي المحقق ولا شيء آخر.

صمت المحقق أسعد قليلًا، ثم قال موجهًا كلامه إلى المحقق حسن:

«إنه في يوم الأربعاء الساعة الرابعة مساء وبتاريخ ٢١/أبريل/٢٠٢٠ وبعد اعتراف السيد فؤاد عبدالمجيد بأنه قد قام بخنق كل من السيدة سميرة ناصر، والآنسة سعاد سعيد مما أدى إلى وفاتهما على الفور.

وكذلك اعترف بمحاولة قتل السيد صبري محمد.

وبناءً عليه وعلى شهادة الشاهد صبري محمد والأدلة التي وُجدت في مكان ومسرح الجريمة، وبصماته على السيارة، وعلى الحجر الذي استعمله في ضرب السيد صبري محمد..

أوصي أنا الرائد أسعد أحمد، بإلقاء القبض على السيد فؤاد عبدالمجيد، وتحويله إلى النيابة العامة للنظر في التهم الموجهة إليه وإصدار ما يجب في مثل هذه الحالات، كما تُحول أوراق القضية إلى المحكمة الكبرى؛ ليصدر بحقه الحكم الذي يراه القاضي في محكمة الجنايات».

تفضل وقع هنا يا سيد فؤاد إلى جانب اسمك.

وأنت كذلك أيها المحقق حسن.

أيها الشرطي.. خذ المتهم إلى النيابة العامة بناء على الإشارة التي سأرسلها معك الآن.

أمرك يا سيدي.

وأمسك بيدي فؤاد بعد أن وضع القيود الحديدية حول معصمه.

خرج فؤاد وهو يتلفت من حوله وكأنه غير مصدق لما يحدث معه.

نظر كل من المحقق أسعد وحسن إلى بعضهما البعض

وطال الصمت حتى قال المحقق أسعد: الآن أشعر بالراحة يا حسن..

تبقى لنا شيء واحد فقط.

ما هو يا سيدي؟

إطلاق سراح عادل عبدالمجيد من الحجز وعلى الفور.

سيد عادل.. سيد عادل، كيف حالك الآن؟ هل تسمعني؟

سيد عادل.. هل تسمعني؟

فتح عادل عينيه ببطء فقد أزعجه ذلك الضوء القوي الموجه باتجاههما.

حمدًا لله على سلامتك يا سيد عادل، لقد تجاوزت مرحلة الخطر وتم نقلك إلى غرفة عادية.

فتح عادل عينيه على اتساعهما وبدأ يحملق فيما حوله.

ما هذه الغرفة التي هو بها! ألم يكن ملقى على فرشة صغيرة بأرض غرفة الحجز!

هذه الغرفة تبدو مختلفة تمامًا.

فراش نظيف ولباس يبدو له بأنه خاص بالمستشفى.

تساءل بصوت خافت وضعيف: أين أنا؟!

ما هذا المكان؟!

اقترب منه رجل يرتدي معطفًا أبيض، ويضع على كتفه سماعة طبية..

أنت بالمستشفى يا سيد عادل.

نظر عادل إلى وجه المتحدث، حينها صاح فزعًا: المحقق أسعد.. أنت هنا؟! صدقني يا سيدي أنا لم أقتل زوجتي، أرجوك أن تصدقني، أنا لم أفعل شيئًا يستحق حجزي.

اهدأ يا سيد عادل، أنت بالمستشفى، وهذه غرفتك التي نقلناك إليها بعد أن كنت بغرفة العناية الفائقة.

وأنا طبيبك المعالج أسعد، استشاري طب الأمراض المعدية والأوبئة، وهذا زميلي الطبيب حسن استشاري الأمراض الصدرية والتنفسية.

ما الذي تقوله أيها المحقق أسعد؟! لقد تم وضعي بالحجز بتهمة قتل زوجتي، وأنت المحقق أسعد.. كيف تنكر ذلك؟!

أرجوك اهدأ يا سيد عادل، لقد كنت بغرفة العناية الفائقة نتيجة إصابتك بالحمى الصفراء.

كانت حالتك الصحية صعبة جدًا، ومنعت عنك الزيارة حتى لا تنشر العدوى بين أهلك.

ولكن الحمد لله، اليوم زال عنك الخطر وأصبح جسمك خاليًا من الفيروس، وجاءت نتيجة الفحص سلبية.

سيدي المحقق أرجوك.. لقد مررت بأيام صعبة عجزت بها حتى عن التفكير، ما الذي تقوله!

لقد وضعتني أنت بالحجز بتهمة قتل زوجتي سميرة.

أرجوك فسر لي ما يحدث هنا، فلست بحال يساعدني على فهم ما يجري.

سيد عادل.. أنا طبيبك المعالج، وهذا زميلي الدكتور حسن.

كنت في حالة خطرة نتيجة إصابتك بالحمى الصفراء وتم وضعك بغرفة العناية الفائقة لارتفاع درجة حرارتك ونقص الأكسجين بالدم

ولعلاج الآثار المترتبة من الإصابة بهذا الفيروس وعزلك عن باقي المرضى حرصًا على عدم العدوى لغيرك..

لذلك بقيت لمدة أسبوعين هناك.

أما عن زوجتك السيدة سميرة فقد توفيت -رحمها الله- جراء المضاعفات المصاحبة لإصابتها بالعدوي بنفس الحمى.

لا حول ولا قوة إلا بالله.

سميرة لم تمت خنقًا يا سيدي؟! هل ما أسمعه حقيقة أم ما زالت هذه نتيجة الحمى؟!

سيد عادل زوجتك -رحمها الله- توفيت قبل أسبوعين نتيجة نقص حاد بالأكسجين وتضرر الرئتين.

لقد أصيب بالفايروس غالب أفراد أسرتك ولم يحتج أحد منهم ولله الحمد للرعاية الطبية..

فقط أنت والسيدة سميرة -رحمها الله- والآنسة سعاد -رحمها الله-.

سعاد ماتت؟! ما الذي تقوله يا سيدي!

نعم، مع الأسف هي أيضًا توفيت نتيجة إصابتها بالفايروس ثم توقف الرئتين.

حمدًا لله على سلامتك يا سيد عادل، وسأوصي بخروجك من المستشفى ظهر هذا اليوم بعد الاطمئنان عليك كليًا.

خرج الطبيب أسعد برفقة الطبيب حسن وتركا عادل في حيرة من أمره!

قام من فراشه ببطء يحاول أن يتأكد من أنه واعٍ بما فيه الكفاية.

تجول في غرفته وتوجه إلى النافذة الموجودة بها.

أزاح عنها الستار متأملًا ما يراه.

تنفس بعمق، إذن لا شيء مما عاشه ومر به كان حقيقيًا، سوى وفاة زوجته سميرة..

لا حول ولا قوة إلا بالله!

سمع طرقًا على باب غرفته، ثم دخل شخص إليها، التفت عادل ليرى من هو.

كان أخاه الدكتور عماد الذي سارع إليه معانقًا وهو يقول بسعادة بادية على نبرات صوته: حمدًا لله على سلامتك يا أخي الحبيب.

لقد جئت إليك مسرعًا حالما بشرني زميلي الدكتور أسعد بتجاوزك مرحلة الخطر وتعافيك التام والحمد لله.

جئت لمرافقتك بالعودة إلى المنزل فالجميع بانتظارك.

حقًا يا عماد هل كلهم بخير؟ طمئني.. كيف والدي ووالدتي وأبنائي؟

الحمد لله كلهم بخير يا أخي لا داعي للقلق.

هيا بنا لترتاح في بيتك بين أهلك وأبنائك، فهم ينتظرونك على أحر من الجمر..

سأذهب لآخذ تصريح الخروج من الدكتور أسعد وأنهي الإجراءات اللازمة لذلك.

هيا بدل ملابسك يا بطل لتخرج من هنا.

وخرج مسرعًا والفرح لا يكاد يسعه لرؤية شقيقه سليمًا معافى.

عاد عادل إلى بيته، وجد أبناءه في استقباله، ووالده ووالدته التي ما إن رأته حتى أخذته في أحضانها تقبله وتعانقه باكية وهي تقول: حمدًا لله على سلامتك يا بني.

يا رب لك الحمد، أكرمتني في ابني الغالي، حبيب قلبي وحياتي.. وانهارت بالبكاء.

حينها مازحها والده الشيخ عبدالمجيد قائلًا: هو فقط حبيبك صحيح؟ ونحن ماذا نكون يا أم عادل؟

ضحك الجميع فرحًا برؤية عادل سليمًا معافى.

كانت هناك أميرة وزوجها فارس، وأخوه فؤاد وزوجته ليلى، وعماد وزوجته خلود.

نظر إليهم عادل فردًا فردًا ليتأكد بأن ما يعيشه الآن واقع وليس حلمًا وهذيانًا كالذي مر به من قبل.

كان عادل يحتضن أبناءه الثلاثة لا يريد تركهم بعيدًا عن أحضانه.

قال عماد لعادل: هيا يا عادل إلى غرفتك لتنال قسطًا من الراحة.

حسنًا شكرًا لكم جميعًا.. أستأذنكم.

ذهب عادل إلى غرفته متفقدًا لها، واستلقى على فراشه محاولًا أن يعتاد على فكرة فقدانه لزوجته..

لكنه ما زال يراها بكل زاوية بالغرفة.

رائحة عطرها الجميلة تملأها، حتى الزهور التي كانت تحبها ما زالت موضوعة بجوار مرآتها.

بينما هو في تلك الحالة من التأمل دخل إلى غرفة ابنه موفق وهو يقول: هل أستطيع التحدث معك يا أبي؟

أكيد.. تعالَ هنا يا بني.

اقترب موفق وجلس إلى جانب والده وهو يقول له: أنا آسف جدًا يا أبي إن بدر عني كلام أغضبك مني.

وأرجو أن تسامحني إن قلت لك شيئًا لم أكن أعنيه على الإطلاق في لحظة غضب وسوء تقدير مني يا أبي.

لا أتذكر شيئًا مما تقوله يا بني، كل ما أفكر به أنني أحبك وأحترمك لأنك ابني المميز والمفضل لديّ، والقريب إلى قلبي وأول من قال لي كلمة أبي.

حينها ارتمى موفق في حضن والده باكيًا، وعادل يمسح له دموعه مبتسمًا.

ما هذا الذي تحمله بيدك يا بني؟

هذا كتاب كنتُ تحب قراءته بكل شغف واهتمام، حتى حينما مرضت وأصابتك الحمى، كنت متعلقًا به ولا تتركه.

وجدته ملقى على الأرض بعد أن أخذتك سيارة الإسعاف التي طلبها لك عمي عماد إلى المستشفى فاحتفظت لك به.. تفضل يا أبي.

نظر عادل إلى الكتاب ثم إلى العنوان الذي كُتب على غلافه:

(قاتل بلا جريمة)